ابن سينا ومنهجه في التربية والأخلاق

د. رضا سيد هاشم عبد العزيـــز
مدرس أصول التربيـــــــة
كلية التربية جامعة بنهـــا

د. عبد العزيز سيد هاشم عبد العزيز
دكتوراه فى الفلسفة الإسلاميـة
كلية دار العلوم جامعة القاهرة

• **المستخلص** :

تعتبر التربية والأخلاق من أهم المجالات التي عُنِيَ بها ابن سينا في فلسفته، وترك لنا فيها كثيرًا من الكتب والرسائل، وهذا البحث محاولة لِتَسْليط الضوء على أحد هذه المسائل، وهي منهج ابن سينا في التربية والأخلاق. وقد احتوى هذا البحث على ثلاثة مباحث، تتناول: ترجمة ابن سينا، ومعرفة النفس وكيفية سياستها في فكره، وكيفية اكتساب الأخلاق عنده ومن أهم النتائج المتعلقة بهذه الدراسة أن ابن سينا له اهتمام ملحوظ بالنفس البشرية رغبة في الوصول بها إلى كمالها المنشود؛ فكتب في ذلك الكثير من الرسائل، كما تناولها في ثنايا العديد من كتبه، وكان يرى أن الطريق إلى تهذيب النفس يكمن في معرفة المرء لنفسه ومعرفته للآخرين، وعلى هذا الأساس يبني منهجه في تربية النفس وسياستها. واهتم ابن سينا بتربية الطفل والعناية به صحيًا ونفسيًا، وكان أحد أولئك الذين أفاضوا في الحديث عن العناية بالطفل في مراحل نموه المختلفة، وأسهم من خلال كتابه السياسة في وضع قواعد منهجية لتربية الأولاد، وله آراء فلسفية وتربوية مهمة في تأديب النشء وتربية الأولاد. وقد دعا ابن سينا إلى مراعاة أخلاق الطفل وإبعاده عن المؤثرات الضارة على سلوكه وأخلاقه، واعتبر أن مبدأ الثواب والعقاب ضرورة تربوية يُلجأ إليها في بعض الحالات الملحة، وأشار إلى الدور البارز لأقران التعلم، كما وضع شروطًا ومواصفات لمن يكون أهلا لتعليم الصبيان. وقد وجَّه الأنظار إلى الصفات السلوكية والخلقية التي يجب على المعلم أن يتمتع بها. وانتبه ابن سينا إلى شرائط التعليم والتعلم سواء تعلق الأمر بالمعلم أو المتعلم أو المادة، وحث على وجوب مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، ومراعاة الميول والمواهب الخاصة بالمتعلم. والجدير بالذكر استمد ابن سينا منهجه التربوي والأخلاقي من الدين الإسلامي، ومن واقع عصره ومجتمعه، والتربية عنده لا تقتصر على مرحلة واحدة، بل تشمل تربية الطفل منذ لحظة ولادته حتى زواجه وانخراطه في الحياة الاجتماعية، كما إنها لم تركز على جانب واحد من شخصيته، بل تهتم بكل جوانب الشخصية الإنسانية الفردية، والمجتمعية، والأخلاقية، والدينية، والمهنية، وتسعى إلى تحقيق تكاملها العقلي والجسدي والانفعالي.

الكلمات المفتاحية : منهج ابن سينا – التربية - الأخلاق

Avicenna (Ibn Sina) and his Method in Education and Ethics

Dr. Reda Hashem Abdel Aziz , Dr. Abdel Aziz Sayed Hashem

Abstract :

Education and ethics are considered one of the most important fields in which Ibn Sina taught in his philosophy, leaving us in a lot of books.This research is an attempt to shed light on one of these issues, Ibn Sina's method in education and ethics.This research contained three topics, namely: the life of Ibn Sina, the knowledge of the soul, how its policy in his thought, and how to acquire ethics .One of the most important results of this study is that Ibn Sina has a remarkable interest in the human soul in the desire to achieve its desired perfection. He wrote many studies and books, and he believed that the way to self-discipline lies in knowing one's self and knowledge To

others, and on this basis builds his method in education psychology and policy. Ibn Sina was interested in raising the child and caring for him, both physically and psychologically. He was one of those who talked about caring for children at different growth stages. He has important philosophical and educational opinions in disciplining young people and raising children. Ibn Sina has been called to the ethics of children and keeping him away from harmful effects on the behaviour and morals, and considered that the principle of reward and punishment in educational necessity in some cases resorted to pressing, referring to the prominent role of associate learning, develop requirements and specifications to be eligible to teach boys. Having drawn attention to developmental and behavioral qualities that a teacher should be enjoyed. And Ibn Sina attention to the tapes teaching and learning, whether it is a teacher or learner or material, and urged that the differences must be observed individual learners, and take into account the tendencies and talents of the learner. It is worth mentioning that Ibn Sina derived his educational and moral approach from the Islamic religion, from the reality of his age and society, and his education is not limited to one stage, but includes the education of the child from the moment of birth until his marriage and involvement in social life, and did not focus on one aspect of his personality, It is concerned with all aspects of individual human personality, societal, moral, religious, professional, and seeks to achieve their mental, physical and emotional integration.

Keyword ; (Ibn Sina) method – Education - Ethics

- **مقدمة** :

من المناسب إزاء الهيمنة الغربية – بما تحمله من مخاطر التغريب ومسخ التمييز القومى وسحق الهوية الحضارية – أن نبعث صفحات تراثنا العربى لكى نبرز تلك الجذور العميقة لقضايانا المعاصرة ، وكيف طرقها الأقدمون من أعلامنا وبأى عمق تناولوها.

ولعل في ذلك إسهامًا فى صناعة فكر يعبر عن ذاتية أمتنا المتميزة وهويتها الخاصة ، ونواجه به هذه الهيمنة وتداعياتها الخطيرة ، ((وإذا كانت الأمة العربية باعتراف الشرق والغرب أمة ذات حضارة قديمة قد لعبت دورا مؤثرا فى تطوير الحضارة الإنسانية فمن حق أبنائها أن يعرفوا تاريخهم الأدبى والتربوى لأن هذه المعرفة ضرورة لإثبات الذات من ناحية والاستفادة العلمية من ناحية أخرى فى صنع المستقبل))(١) ، فضلا عن مواجهة قضايا التربية كما واجهها السابقون من أبناء هذه الأمة.

ذلك أن فى تراثنا علامات ودلالات هادية ، وعديد من الإجابات – ولو كانت أوليه - عن كثير من القضايا التى تواجهنا فى الواقع(٢).

والباحث فى تراثنا العربى والإسلامى يجد العديد من الآثار المتعلقة بالفكر التربوى قد أصبحت لدى كثير من الباحثين التربويين بمثابة ((مرجع المفاهيم

والأفكار التربوية على مر العصور، ويمثلها كتابات أبى حامد الغزالى فى إحياء علوم الدين وميزان العمل، وابن سينا فى القانون والسياسة، وابن سحنون فى آداب المتعلمين، والقابسى فى الرسالة المفصلة، وابن جماعة فى تذكرة السامع والمتكلم، وما اشبه ذلك من الكتابات التى عالجت مسائل التعليم والتربية))(٣).

ولقد آلت على نفسها مجموعة من الباحثين والمفكرين(٤) أن تتجه إلى مسيرة الأمة العربية والإسلامية منذ ظهور الإسلام وحتى يومنا هذا، بحثا وتنقيبا عن القيادات البارزة التى كان لها أقوى تأثير فى حركة الفكر التربوى والتطور التعليمى ودراستها دراسة علمية تحليلية جادة حتى تتوفر من خلال تلك الدراسات مجموعة من النماذج التى يجب أن تحتذى فى مقدار الجهد المبذول وفى الجدية البارزة والعمق المتوفر وفى الاستجابة إلى متطلبات العصر الذى يعيشه المفكر(٥).

ونتيجه لهذه الجهود فإنه يتوفر لدى القارئ زاد فكرى تربوى يعبر عن العقل العربى الإسلامى ويترجم للمجتمع حتى يتأكد هذا القارئ أن تلك العقلية قادرة على الابتكار والإبداع إذا توافرت لها ظروف وشروط معينة، وأن العبقرية ليست حكرا لشعب من الشعوب ولا هى قاصرة على عصر من العصور(٦).

- **قضية البحث**

إن تراثنا العربى الإسلامى غنى بأعلام التربية ومؤلفاتهم الضخمة، وفى طليعتهم الشيخ الرئيس ابن سينا، والذى عرف عنه أنه كانت له همة عالية فى الإقبال على العلوم المختلفة إذ كان لا يشتغل فى النهار بشيء سوى القراءة والمطالعة، كما كان لا ينام ليلة بكاملها، وقد ترك مؤلفات متعدده شملت مختلف حقول المعرفة فى عصره، وترجم أغلب كتبه إلى اللغات الأجنبية وأعيد طبعها عشرات المرات، واتصل ابن سينا بخدمة الأمراء وتقلد الوزارة، وبرع فى الطب(٧) والمنطق والطبيعيات والإلهيات حتى صار يطلق عليه الشيخ الرئيس الفيلسوف(٨).

والمتأمل فى آثار ابن سينا يجده قد وضع منهجا تربويا أخلاقيا مستمدا أسسه ودعائمه من الدين، ومن واقع عصره ومجتمعه ليفى بمتطلبات مجتمعه ويساعده على النهوض والخلاص مما هو فيه من انحلال وتعطل وفقدان للقيم(٩).

إن أبرز ما يميز المنهج التربوى لابن سينا أن التربية عنده لم تقتصر على مرحلة واحدة وهى دخول الطفل المدرسة، بل شملت تربية الطفل منذ ولادته حتى زواجه وانخراطه فى الحياة المجتمعية، كما أنها لم ترتكز على جانب واحد أو بعض جوانب الشخصية الإنسانية لتهمل الجوانب الأخرى، بل اهتمت بوحدة الشخصية الإنسانية وتكاملها.

كما تدور فلسفته التربوية حول تنمية الفرد من حيث هو إنسان وهدف التعليم فى رأيه هو تنمية القدرة على التفكير وتمكين الإنسان من الوصول إلى هذه المفاهيم الأساسية أو المبادئ الخلقية التى يجب أن يتصف بها(١٠).

ولعل هذا ما يجعل الشيخ الرئيس من أصحاب المذاهب التربوية الجديرة بالاهتمام والدراسة ؛ فلدى هذا الفيلسوف من الآراء والنظريات العلمية ما يجعله جديرا بأن يمد الإنسانية بمعين لا ينضب من المعرفة وما يتفرع عنه من تربية وسياسة وإصلاح بعد أن أمدها بمعين من الفلسفة والطب.

ولقد توفر على دراسة تراثه العلمي والتربوي كثير من الدراسات والبحوث، منها دراسة عبد الرحمن النقيب التي تناولت فلسفة التربية عند ابن سينا ، ودراسة عبد الأمير شمس الدين الفكر التربوي عند ابن سينا ، وكذلك دراسة محمود عبد اللطيف الفكر التربوي عند ابن سينا ، وغيرها من الدراسات التي عنيت بإبراز ملامح الفكر التربوي لدى الشيخ الرئيس بوجه عام.

غير أن هذا البحث يعنى بتسليط الضوء بشكل خاص على المنهج التربوي الأخلاقي عند ابن سينا ، ومن ثم تتمثل قضية البحث في التساؤل الرئيس التالي:

ما أهم معالم المنهج التربوى الأخلاقى عند ابن سينا ؟

وتتفرع عن هذا التساؤل عدة تساؤلات هى :

- ما المحددات الفكرية والاجتماعية الخاصة بابن سينا؟
- ما مفهوم ابن سينا للنفس البشرية وكيفية معرفة عيوبها وسياستها لاكتساب القيم والفضائل؟
- ما المفاهيم والاصطلاحات التربوية الحديثة التي وردت في منهج ابن سينا التربوي والأخلاقي؟
- كيف يمكن الإفادة من فكر ابن سينا فى معالجة بعض قضايا العصر ؟

- **هدف البحث**

هذا البحث محاولة لتسليط الضوء على المسائل والقضايا المتعلقة بالتربية والأخلاق فى منهج ابن سينا التربوى من خلال مصادر فكره التربوى والأخلاقى والتى تتمثل فى كثير من كتبه ومؤلفاته ورسائله .

- **أهمية البحث**

ليس من المبالغة القول إننا أمام آفاق هذا التراث وصفحاته فى مجال التربية نقف على أبواب عالم إذا أحسن اختيار مداخله وتنظيم الاستفادة من إمكاناته فسوف يسهم فى صياغة فكر تربوى يعبر عن ذاتية أمتنا المتميزة وهويتها الخاصة ونتمكن به من رفض هيمنة الحضارة الغربية والتحصن بالذاتية الموروثة

كسبيل عاصم من مخاطر التغريب ومسخ التميز القومى ، وسحق الهوية الحضارية(١١).

وإذا كانت مسائل التربية والأخلاق من أهم ما عنى به ابن سينا فى فلسفته كما يبدو من خلال ما خلفه من رسائل وكتب عديدة مما يدعونا إلى الجد فى البحث عن آرائه ومواقفه من القضايا والمسائل المتصلة بالتربية والأخلاق خاصة فى ظل هذه الظروف التى تمر بها أمتنا العربية والإسلامية ، ولعلنا فى أمس الحاجه إلى مثل هذا المنهج التربوى الأخلاقى لعله يساعد فى الخلاص مما نحن فيه من أزمة حقيقية فى التربية والأخلاق .

- **منهج البحث**

يستند الباحثان فى معالجة موضوع بحثهما للمنهج الوصفى والمنهج التاريخى وذلك للوقوف على أهم الاثار التى تركها ابن سينا والتي تبين موقفه من مسائل التربية والأخلاق فى عصره وكيف يمكن الإفادة منها فى مواجهة بعض قضايا التربية فى العصر الحالى .

- **محاور البحث**

تمت معالجة الموضوع وفقاً للمحاور التالية :

- المحور الأول : ابن سينا حياته وآثاره
- المحور الثاني : تربية النفس وسياستها
- المحور الثالث : اكتساب الأخلاق وتحصيلها عند ابن سينا
- المحور الرابع : فكر ابن سينا ومعالجة بعض قضايا العصر
- خلاصة واستنتاجات

وفيما يلى تفصيل ذلك :

- **المحور الأول**
- **ابن سينا حياته وآثاره**

ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، قال عنه صاحب الوافي بالوفيات: ((لم يأت في الإسلام بعد أبي نصر الفارابي من قام بعلوم الفلسفة مثل الشيخ الرئيس أبو علي إلا أن عبارته أفصح وأعذب وأحلى وأجلى. وما كان كلام الأطباء قبله إلا كلام عجائز حتى جاء الرئيس. وأتى بالقانون فكأنه خطب لبلاغة معانيه وفصاحة ألفاظه))[١٢].

- **المولد والنشأة**:

كتب ابن سينا سيرة حياته بقلمه، فذكر أحواله، ووصف سيرته، ثم أكملها تلميذه أبو عبيد الجوزجاني، فتيسر بذلك معرفة كثير من دقائق حياته. وقد ولد ابن سينا في قرية تسمى أفشنة إحدى قرى مدينة بخارى، في شهر صفر سنة ثلاثمائة وسبعين هجرية(١٣). وقيل سنة ثلاثمائة وخمس وسبعين(١٤).

ولد ونشأ في أسرة فارسية الأصل من أصحاب الأملاك في تلك المنطقة الخصبة، والتي اتصف أهلها بمحافظتهم على التراث الفارسي في عهد نوح بن منصور (٣٣٥ - ٣٨٧هـ) في ربوع الدولة السامانية في الوقت الذي كان يتفتح فيه الوعي القومي الفارسي(١٥).

اهتم والد ابن سينا بتعليمه، وكان له دور بارز في توجيه ابنه إلى طلب العلم، حيث أرسل به إلى مَنْ يُعَلِّمُه القرآن والأدب والحساب.

يقول ابن سينا في ترجمته الذاتية: ((إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور، واشتغل بالتصرف، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرميثن من ضياع بخارى، وهي من أمهات القرى، وبقربها قرية يقال لها أفشنة، وتزوج أبي منها بوالدتي، وقطن بها وسكن، ووُلِدْتُ منها بها، ثم وُلِدَ أخي، ثم انتقلنا إلى بخارى، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب، وأكملت العشر من العمر، وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقضى مني العجب))(١٦).

ويقول ابن خلكان: ((واشتغل بالعلوم وحصَّل الفنون، ولما بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة))(١٧).

وكان والد ابن سينا من المتبعين للمذهب الشيعي، ويذكر ابن سينا ذلك، فيقول: ((وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين، ويُعَدُّ من الإسماعيلية، وقد سمعت منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه، وكذلك أخي، وكانوا ربما تذاكروا ذلك بينهم وأنا أسمع وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي، وابتدءوا يدعونني إليه، ويجرون على ألسنتهم أيضًا ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند، وكان أبي يطالع ويتأمل رسائل إخوان الصفا، وأنا أيضًا أتأمله أحيانًا))(١٨).

ولما جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي - وكان يدعى المتفلسف - أنزله والد ابن سينا في داره رجاء تعليم ابنه مبادئ الفلسفة. يقول ابن سينا: ((ثم ابتدأت بكتاب إيساغوجي على الناتلي، ولما ذكر لي حد الجنس، أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو، فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله، وتعجب مني كل العجب، وحذَّر والدي من شغلي بغير العلم، وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيرًا منه، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة، ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي، وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق، وكذلك كتاب إقليدس، فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره، ثم انتقلت إلى المجسطي، ولما فرغت من مقدماته، وانتهيت إلى الأشكال الهندسية، قال لي

الناتلي: تولَّ قراءتها وحلها بنفسك، ثم اعرضها عليَّ لأبين لك صوابه من خطئه، وما كان الرجل يقوم بالكتاب، وأخذت أحل ذلك الكتاب، فكم من شكل ما عرفه إلى وقت ما عرضته عليه وفهمته إياه، ثم فارقني الناتلي متوجهًا إلى كركانج، واشتغلت أنا بتحصيل الكتب من النصوص والشروح، من الطبيعي والإلهي، وصارت أبواب العلم تنفتح عليَّ))(١٩).

ثم توجه ابن سينا بعد ذلك إلى طلب علوم الطب، فتعلمها حتى برع فيها، وصارت له شهرة كبيرة في التطبيب، وفي ذلك يقول: ((ثم رغبت في علم الطب، وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه؛ وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة، حتى بدأ فضلاء الطب يقرءون عليَّ علم الطب، وتعهدت المرضى، فانفتح عليَّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف))(٢٠).

وكان ابن سينا – كما يَحكِي - قد بلغ من العمر آنذاك ستة عشر سنة! وكانت له همة عالية في الإقبال على العلوم المختلفة، وفي مدة اشتغاله بطلب العلم لم ينم ليلة واحدة بكمالها، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع، وصلى ودعا

الله عز وجل أن يسهلها عليه، ويفتح له مغاليقها، وفي ذلك يقول: ((ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفا، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها، ولا اشتغلت النهار بغيره ... وكلما كنت أتحير في مسألة، ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت إلى الجامع، وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل، حتى فتح لي المنغلق، وتيسر المتعسر))(٢١).

وبعد أن أتم ابن سينا دراسة المنطق والرياضة والطبيعيات اتجه إلى كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو، وكان مغلقا عليه حتى قرأ شرحًا له من تأليف الفارابي، وفي ذلك يقول: ((ثم عدلت إلى الإلهي، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة، فما كنت أفهم ما فيه، والتبس عليَّ غرض واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظا، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به، وأيست من نفسي، وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه، وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين، وبيد دلال مجلد ينادي عليه، فعرضه عليَّ، فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة من هذا العلم، فقال لي: اشترِ مني هذا؛ فإنه رخيص، أبيعكه بثلاثة دراهم، وصاحبه محتاج إلى ثمنه، واشتريتَه، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة، ورجعت إلى بيتي، وأسرعت قراءته، فانفتح عليَّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر القلب، وفرحت بذلك، وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرًا لله تعالى)) (٢٢).

وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور قد أصيب بمرض حار فيه الأطباء، فذكروا له ابن سينا، وطلبوا إحضاره ليداوي السلطان، فحضر، وشاركهم في مداواته، وتقرَّب من نوح بن منصور حتى سأله يومًا الإذن له في دخول مكتبته الخاصة ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب، فأذن له، يقول ابن سينا: ((فدخلت دارًا ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض، في بيت منها كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد، فطالعت فهرست كتب الأوائل، وطلبت ما احتجب إليه منها، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط، وما كنت رأيته من قبل، ولا رأيته أيضًا من بعد، فقرأت تلك الكتب، وظفرت بفوائدها، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه، فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي أنضج، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء))(٢٣).

ثم يذكر ابن سينا أنه ألَّف كتاب المجموع، وأتى فيه على سائر العلوم سوى الرياضي، وله إذ ذاك إحدى وعشرون سنة، وصنَّف كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلدة؛ وصنف في الأخلاق كتابًا سمَّاه كتاب البر والإثم.

يقول ابن خلكان: ((ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها، وتوفي أبوه وسن أبي علي اثنتان وعشرون سنة)) (٢٤).

ولما مات والد ابن سينا تبدلت به الأحوال، فعمل للسلطان نوح بن منصور، ثم رحل عن بخاري وانتقل إلى كركانج، وقدَّمه الوزير أبو الحسين السهلي إلى أميرها علي بن مأمون، فدخل عليه ابن سينا وهو يرتدي زي الفقهاء، فأجرى عليه ما يكفيه من المال، لكنه ظل يتنقل بين عدة مدن حتى استقر في جرجان، واتصل به تلميذه وصاحبه أبو عبيد الجوزجاني، وأنشأ قصيدة يصف فيها حاله، ومنها قوله : **لما عظمتُ فليس مَصر واسعي لما غلا ثمني عدمت المشتري**

ولما وصل ابن سينا إلى جرجان نزل على رجل يقال له أبو محمد الشيرازي، وكان يحب هذه العلوم، فاشترى لابن سينا دارًا في جواره، وأنزله بها، وفي تلك الأثناء أملى ابن سينا على أبي عبيد كتاب المختصر الأوسط في المنطق، وصنَّف لأبي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد، وكتاب الأرصاد الكلية، وصنَّف هناك كتبًا كثيرة، كأول القانون ومختصر المجسطي وكثيرًا من الرسائل، ثم صنَّف في أرض الجبل بقية كتبه

ثم انتقل ابن سينا إلى الري، فأقام بها، واتصل بخدمة الأمير مجد الدولة، وكان يعرف لابن سينا قدره، فاشتغل ابن سينا بمداواته من مرض ألَّم به، وصنَّف هناك كتاب المعاد.

ثم خرج إلى قزوين، ومنها إلى همدان، قاصدًا الأمير شمس الدولة، وكان شمس الدولة قد أصابه القولون، فحضر إليه ابن سينا، وعالجه حتى شفاه الله، وأعطاه هدايا كثيرة، ثم رجع إلى داره بعدما أقام هناك أربعين يومًا، وصار من ندماء الأمير، ورافقه في حروبه(٢٥).

وطلب شمس الدولة من ابن سينا تقلد الوزارة، فتقلدها، وحدثت له مشاكل مع العسكر، فعُزِلَ بسببها ابن سينا عن الوزارة، ثم عاد إليها مرة ثانية، ولم يصلنا شيء عن سياسة ابن سينا في الوزارة وكيفية إدارته للأمور، ولكن يبدو أنه لم يكن بالرجل السياسي المحنك؛ إذ ثار عليه العسكر، وأجبروا شمس الدين على عزله!. وفي تلك الأثناء صنَّف ابن سينا كتاب الشفاء.

ثم توفي شمس الدولة، فبويع ابنه، ورفض ابنُ سينا أن يكون وزيرًا له، وكاتب أميرَ أصفهان علاءَ الدولة سرًّا يطلب خدمته والذهاب إليه والانضمام إلى جانبه، ثم اتهمه الوزير تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة، فأخذوه، وحبسوه في إحدى القلاع، وأنشأ هناك قصيدة منها:

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

وبقي ابن سينا حبيسًا في القلعة أربعة أشهر، وكان قد صنَّف بالقلعة كتاب الهدايات، ورسالة حي بن يقظان، وكتاب القولنج.

ثم عَفَوْا عن ابن سينا، وأخرجوه من القلعة، فبقي في همدان مدة، ثم خرج مستخفيًا هو وأخوه وأبو عبيد وغلامان إلى أصفهان قاصدًا علاء الدولة، فلما وصلوا إلى طبران على باب أصفهان، بعد مقاساة الشدائد في الطريق استقبله أصدقاؤه وندماء الأمير علاء الدين وخواصه، وحمل إليه الثياب والمراكب الخاصة، وأنزل في أحد البيوت، وحضر مجلس علاء الدولة، فصادف في مجلسه الإكرام والإعزاز الذي يستحقه، ثم رسم علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم، والشيخ من جملتهم، فما كان يطاق في شيء من العلوم.

وفي أصفهان اشتغل في تتميم كتاب الشفاء، وصنف أيضًا في الطريق كتاب النجاة، واختص بعلاء الدولة، وصار من ندمائه، كما صنَّف بأصفهان الكتاب العلائي(٢٦).

وإذا كان ابن سينا قد مهر في الطب، وكان يصف الدواء للمرضى، فيشفون بإذن الله، فقد شاء الله سبحانه أن يموت ابن سينا بداء القولنج الذي كان يعالج منه الناس، فلم يستطع أن يعالج نفسه، حيث ساءت حالته الصحية

ومع إحساس ابن سينا بدنو أجله اغتسل وتاب، وتصدَّق بما معه على الفقراء، ورد المظالم على من عرفه، وأعتق مماليكه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة(٢٧).

ثم انتقل إلى جوار ربه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وكان عمره ثلاثًا وخمسين سنة(٢٨).

قال ابن خلكان: ((وتوفي بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها))(٢٩).

وقال القفطي: ((وكان عمره ثمانيًا وخمسين سنة، وكان موته فِي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة))(٣٠).

أشعاره: عرف ابن سينا بالفصاحة، ورويت عنه أشعارٍ كثيرة، ومن شعره قصيدته العينية الرائعة التي قالها في النفس، وهي من أَجَلِّ قصائده وأشرفها، ومنها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع(٣١)

- **مؤلفاته**:

ترك ابن سينا مؤلفات متعدّدة شملت مختلف حقول المعرفة في عصره، وتتنوعت هذه المؤلفات ما بين المجلدات العديدة الضخمة والكراسة الصغيرة، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة لابن سينا تسعة وتسعين كتابًا(٣٢)، وذكر الزركلي أن عدد مصنفاته بلغ نحو مائة كتاب، وذكر منها عشرين كتابًا ما بين المطبوع والمخطوط(٣٣)، ((ولو أحصينا الموضوعات التي كتب فيها لوجدنا أنه طرق أكثر من خمسة عشر نوعًا من العناوين سواء في الفلسفة أو المنطق أو الفلسفة النظرية أو العلوم الطبيعية أو العلوم الرياضية أو الإلهيات واللغة والعربية، حتى إنه قد صاغ بعض رسائله اللغوية شعرًا . فنجد الأب جورج شحاتة قنواتي الباحث المعروف في فكر ابن سينا يذكر له مائتين وست وسبعين كتابًا ورسالة. ولا عجب أن يبلغ إنتاج ابن سينا هذا الشأو نوعًا وكمًّا وهو الذي يبدأ الكتابة منذ سن العشرين من عمره متنفذًا جل أوقاته في القراءة والتأليف مقيمًا أو مسافرًا سجينًا أو طليقا))(٣٤).

وقد نُقِلَ أغلب كتبه إلى اللغات الأجنبية، وأعيد طبعها عشرات المرات، وقيل إن كتاب القانون أعيد طبعه ثلاثين مرة خلال القرن السادس عشر الميلادي(٣٥).

أما عن طريقة ابن سينا في التأليف عمومًا وفي كتاب الشفاء خصوصًا فيقول أبو عبيد: ((وطلبت منه إتمام كتاب الشفاء، فاستحضر أبا غالب، وطلب

الكاغد – القرطاس - والمحبرة فأحضرهما، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءًا على الثمن بخطه رءوس المسائل، وبقي فيه يومين حتى كتب رءوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره، ولا أصل يرجع إليه، بل من حفظه، وعن ظهر قلبه، ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه، وأخذ الكاغد، فكان ينظر في كل مسألة، ويكتب شرحها، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات))(٣٦).

ونذكر من كتب ابن سينا ما له تعلق بالتربية الأخلاقية مما رجعنا إليه في هذا البحث، وذلك فيما يلي:

- الإشارات والتنبيهات
- رسالة إلى الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير
- رسالة البر والإثم
- رسالة في العقول
- رسالة في الكلام على النفس الناطقة
- رسالة في الموت
- عيون الحكمة
- في تزكية النفس، رسالة في الدعاء
- في علم الأخلاق
- كتاب السياسة

ومما يحسن أن نختم به ترجمتنا لابن سينا - ونحن في سياق الحديث عن منهجه التربوي والأخلاقي - أن نذكر رسالته في العهد، هذه الرسالة التي تتضمن تحليلا موجزًا لبعض الأعمال التي يغلب عليها الجانب الخلقي، بالإضافة إلى أنها تعطينا صورة عن ابن سينا بعدما هجر حياة اللهو والعبث، ومما جاء في تلك الرسالة: ((قال الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا في عهد عاهد الله فيه: أنه عاهد الله بتزكية نفسه بمقدار ما وهب لها من قوة ...))(٣٧).

وقد جاء في هذه الرسالة العهد بهجر الكذب، وحب الخير للناس والمنفعة إليهم، وعشق الأخيار، وكثرة تشويق النفس إلى المعاد، وألا يغلظ بهجر، وأن يسمح بالمقدور، وأن يحفظ سر كل أخ وأخيه في أهلِه وأولاده والمتصلين به، وأن يفِي بما يعد، ولا يُجْري في أقاويله الحلف، وأن لا يُقصِّر في مساعدة الناس، ولا يُقصِّر في الأوضاع الشريفة وتعظيم السنن الإلهية والمواظبة على التعبدات البدنية(٣٨).

- **المحور الثاني** : **تربية النفس وسياستها** :

النفس هي جوهر الإنسان، أو هي الإنسان على الحقيقة، وقد اهتم علماء الأخلاق بالنفس البشرية رغبة في الوصول بها إلى كمالها المنشود، وكان لابن سينا اهتمام ملحوظ بالنفس البشرية؛ فكتب فيها الكثير من الرسائل، كما

تناولها في ثنايا العديد من كتبه، وكان يحكي عن عدد من الحكماء والأولياء أنهم اتفقوا على أنَّ ((مَن عرف نفسه عرف به))(٣٩).

ولا نريد أن نقف وقفة طويلة مع نظرته إلى النفس، ولكن نأخذ من كلامه ما يفيدنا في فلسفة التربية الأخلاقية مما يتعلق بتهذيب النفس ورياضتها، ولكن قبل أن نتناول سياسة النفس ورياضتها عند ابن سينا نقف وقفة سريعة مع مفهومه للنفس البشرية وقواها والتأثير المتبادل بينها وبين الجسد، وذلك فيما يلي:

- **أولا: مفهوم النفس عند ابن سينا:**

إذا كان ابنُ سينا قد تابع أرسطو في تعريفه للنفس بأنها ((كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة))(٤٠). - فإنه لم يقبل تعريف أرسطو على علاته، وذهب إلى القول ببقاء النفس وخلودها بعد مفارقتها للبدن، وأثبت أنها جوهر روحي مخالف للبدن، وتعريفه للنفس بأنها كمال غير المعنى الأرسطوطاليسي، وهي التي تتحد اتحادًا جوهريًّا بمادتها فلا تنفك عنها، ((وهنا يبدو لنا بجلاء أن ابن سينا يميل إلى الجمع بين آراء كل من أفلاطون وأرسطو فى طبيعة النفس، فهو يرى كالأول أن النفس جوهر مستقل ومخالف للبدن، ويرى كالثانى أنها كمال له، وأنه يدخل فى تعريفها بمعنى خاص، ولكنه يرفض تعريف أرسطو جملة إذا كان الأمر بصدد بيان طبيعة النفس على اعتبار أنها ذات مستقلة عن البدن، فإنها لديه جوهر روحي كما رأينا، وهي تفيض من العالم العلوي فتحل فى البدن كارهة، وقد تغادره كارهة)) (٤١).

فابن سينا يؤكد على أن النفس لها جانبان: جانب يشترك فيه الإنسان مع الحيوان والنبات ويكون تعريف النفس من هذا الجانب أنها كمال لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة.

أما الجانب الأخر من النفس فهو الذي يشترك الإنسان فيه مع الملائكة، ومن ثَمَّ يُعَرِّف النفس بأنها جوهر روحاني مخالف للبدن، تكمل الجسم، وتحركه بالاختيار، يقول ابن سينا: ((وهذه النفس الناطقة جوهر قائم بذاته، غير منطبع في بدن الإنسان، ولا في غيره من الأجسام، بل هو مفارق للمواد والأجسام مجرد عنها، وله علاقة ما ببدن الإنسان ما دام حيًّا، وليس تلك العلاقة كتعلق الشيء بمحله، بل كتعلق مستعمل الآلة بالآلة، وهو حادث مع البدن لا قبله، وليس يفسد بفساد البدن وموته، بل يبقى كما كان إلا أنه تحصل له حالة تسمى عندما تنقطع علاقته عن البدن - أي بعد انقطاع العلاقة بالموت - سعادة ولذة أو شقاوة وألما))(٤٢). وفي الإشارات والتنبيهات تحدث ابن سينا عن أحوال النفس الإنسانية، وكانت المسألة الأولى المتعلقة بهذا الموضوع في بيان أن النفس ليست عبارة عن هذا البدن، وفيها يريد ابن سينا أن يثبت أن النفس

الإنسانية موجودة، وأنها ليست هي البدن، فإذا كان الإنسان صحيح الإدراك كامله فإنه لن يغفل عن وجود ذاته، بل إنه سيدرك ذاته حتى ولو لم يكن صحيح الإدراك كامله كما في حالتي النائم والسكران.

يقول ابن سينا: ((ارجع إلى نفسك وتأمل هل إذا كنت صحيحًا، بل وعلى بعض أحوالك غيرها، بحيث تفطن للشيء فطنة صحيحة، هل تغفل عن وجود ذاتك، ولا تثبت نفسك؟! ما عندي أن هذا يكون للمستبصر، حتى إن النائم في نومه والسكران في سكره لا يعزب ذاته عن ذاته، وإن لم يثبت تمثله لذاته في ذكره، ولو توهمت أن ذاتك قد خلقت أول خلقها صحيحة العقل والهيأة، وفرض أنها على جملة من الوضع والهيأة لا تبصر أجزاءها، ولا تتلامس أعضاؤها، بل هي منفرجة ومعلقة لحظة ما في هواء طلق، وجدتها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت إنيتها))(٤٣).

كما يُحدثنا - في رسالة كتبها عن الموت - عن حقيقة الإنسان وطبيعته فهو من جوهر روحاني ومن عَرَض جسدي، وعندما يموت الإنسان يغادر جسده الذي يفنى ويتبدل، يقول ابن سينا: ((إن الموت ليس أكثر من ترك النفس آلاتها، وهي الأعضاء التي مجموعها يسمى بدنًا، كما يترك الصانع مثلا استعمال آلته، فإن النفس جوهر غير جسماني، وليست عَرَضًا، وإنها غير فاسدة... فإذا فارق الجوهر البدن بقي البقاء الذي يخصه، ونُقيَ من كَدَر الطبيعة، وسعد السعادة التامة، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه، فإن الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر، ولا يبطل ذاته، وإنما تبطل الأعراض والخواص والإضافة التي بينها وبين الأجسام بأضدادها، فأما الجوهر فلا ضد له))(٤٤).

ويرى ابن سينا أن كليهما لا يتلاشيان، فإن البدن يتحول من صورة إلى أخرى، وإذا كان هذا مع البدن الذي هو أقل وأخس من الروح، فمن باب أولى أن النفس لا تتلاشى ولا تتحول ولا تتغير، وفي هذا يقول: ((وأنت إذا تأملت الجوهر الجسماني الذي هو أخس من ذلك الجوهر الكريم واستشعرت حاله وجدته غير فانٍ ولا متلاشٍ من حيث جوهر، وإنما يستحيل بعضه إلى بعض فيبطل خواصه شيءٍ فيه وأعراضه. وأما الجوهر نفسه فهو باقٍ ولا سبيل إلى عدمه وبطلانه. فأما الجوهر الروحاني الذي لا يقبل الاستحالة ولا تغيير في ذاته وإنما يقبل كمالاته وتمام صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشي؟))(٤٥).

ويمكن القول بأن ابن سينا ((تحت تأثير آراء أفلاطون ومدرسة الإسكندرية وكذلك سلفه الفارابي قد نظر إلى النفس على أنها في آن واحد جوهر وصورة، فهي جوهر إذا نظرنا إليها في حد ذاتها، وصورة إذا أخذنا في اعتبارنا بالجسم))(٤٦).

وقد أقام ابن سينا الأدلة على تجوهر النفس، ثم صعد منها إلى البرهنة على خلودها. فهي - كما يرى ابن سينا - جوهر، ليس بجسم، ولا قائم بجسم، وإن إدراكها قد يكون بآلات، وقد يكون بذاتها بغير آلات، وأنها واحدة، وقواها كثير، وأنها حادثة مع حدوث البدن، وباقية بعد فناء البدن(٤٧).

- **ثانياً : سياسة النفس**:

قسَّم ابن سينا كتاب السياسة إلى خمسة أقسام: في سياسة الرجل نفسه، وفي سياسة الرجل دخله وخرجه، وفي سياسة الرجل أهله، وفي سياسة الرجل ولده، وفي سياسة الرجل خدمه.

وهذا التقسيم ينبع من حاجة الإنسان الأساسية إلى الزوج والولد، وما يلزم لذلك من مال وخدمة ورعاية، ((فهذه أمور قد استوى في الحاجة إليْهَا الملك والسوقة والراعي والمرعي والسائس والمسوس والخادم والمخدوم؛ لِأَن كل إنسان مُحْتَاج في دُنْيَاهُ إِلَى قوت يُمسك روحه وَيُقِيم جسده، وَإِلَى منزل يحرز فيه ذات يده ويأوى إليه إِذا انصرف عن سَعْيه، وإلى زوج تحفظ عليه منزلة وتحرز له كسبه، وإِلَى ولد يسعى له عند عجزه ويمونه في حال كبره ويصل نسله ويحيى ذكره من بعده، وإلى قوَّام وكفاة يعينونه ويحملون ثقله، وإذا اجتمع هؤلاء كان راعيًا ومُسيمًا وكان له رعايا وسوامًا))(٤٨).

فالانسان يحتاج إلى قوت يبقي به شخصه، ومنزل يخزن فيه ما يقتنيه، وزوج تحرس وتدبر، وبالزواج يكون الولد، وتكون الحاجة الى الخدم، ومن ثم تكون سياسة الرجل مرتبطة بنفسه وماله وزوجه وولده وخدمه.

ويلْزم صاحب الأهل والولد والخدم والتبع حفظهم وحياطتهم وتحمل مؤنهم وإدرار أَرْزَاقهم وإحسان سياستهم وتقويمهم بالترغيب والترهيب وبالوعد والوعيد وبالتقريب والتبعيد وبالإعطاء والحرمان حَتَّى تستقيم لَهُ قناتهم(٤٩).

ثم يبدأ ابن سينا في الحديث عن سياسة الرجل نَفسه مؤكدًا على أن من شاء أن يسوس الآخرين عليه أن يسوس نفسه أولا ؛ إذ إن النفس هي أقرب شيء إليه وأكرمها عليه وأولاها بعنايته، بل إن سياسة النفس أصعب من أي سياسة كانت، حتى إن من تمكن من سياسة نفسه على أحسن وجه لم يستعصِ عليه أن يسوس مدينة بأكملها، بل دولة بأسرها، وفي ذلك يقول: ((إن أول ما ينبغي أن يبدأ به الإنسان من أصناف السياسة سياسة نفسه، إذ كانت نفسه أقرب الأشياء إليه، وأكرمها إليه، وأولاها بعنايته، ولأنه متى أحسن سياسة نفسه لم يعي بما فوقها من سياسة المصِر))(٥٠). ولا يمكن للمرء أن يصل إلى هذه الدرجة من التحكم بالذات والسيطرة على النفس من دون العلم، وهذا العلم له وجهان رئيسيان، هما: معرفة النفس ومعرفة الآخرين، وعلى هذا الأساس يبني ابن سينا منهجه في تربية النفس وسياستها، وتفصيل ذلك فيما يلي:

- **معرفة المرء لأخلاقه**:

لكي يعرف المرء أخلاق نفسه لا بد له من اتباع طريقتين احداهما عون للآخرى: أما الطريقة الأولى فهي أن يحاول معرفة نفسه بنفسه، وأما الطريق الثانية فهي أن يعرف نفسه من خلال الآخرين المتصلين به.

- **الطريق الأول**: **معرفة المرء لأخلاقه بنفسه**:

فتربية النفس يجب أن يسبقها نقد ذاتي حتى يعرف الرجل مساوئ نفسه معرفة كاملة، وأول ذلك – كما يرى ابن سينا – أن يعلم أن له عقلا ونفسًا، وأنهما ليسا على وفاق فيما بينهما، ولا سيما في بداية الأمر. وتنبني معرفة المرء لنفسه على شيئين:

- أولهما: أن يعلم مَنْ السائس والمسوس ومن القائد والمقود، فالعقل هو السائس والرائض، والنفس هي المسوس المقودة.
- ثانيًا: أن يعلم صفات نفسه معرفة كاملة.

يقول ابن سينا: ((ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه أن يعلم أن له عقلا هو السائس، ونفسًا أمارة بالسوء، كثيرة المعايب، جمة المساوئ في طبعها وأصل خلقها هي المسوسة، وأن يعلم أن من رام إصلاح فاسدٍ لزمه أن يعرف جميع فساد ذلك الفاسد معرفة مستقصاة، حتى لا يغادر منه شيئًا، ثم يأخذ في إصلاحه وإلا ما كان يصلحه غير حريز ولا وثيق. كذلك من رام سياسة نفسه ورياضتها وإصلاح فسادها لم يجز له أن يبتدئ في ذلك حتى يعرف جميع مساوئ نفسه معرفة محيطة؛ فإنه إن أغفل بعضِ تلك المساوئ وهو يرى أنه قد عمها بالإصلاح كان كمن يدمل ظاهر الكلم، وباطنه مشتمل على الداء، وكما أن الداء إذا قوى على الإهمال وطول الترك نقض الاندمال وقذف الجلد حتى يبدو لعين الناظر. كذلك العيب الواحد من معايب النفس إذا أغفل عنه كامنًا حتى إذا لاح له وجه ظهور طلع مكتمنه آمن ما كان الإنسان له)) (٥١).

والحقيقة أن النفس أمارة بالسوء كثيرة المعايب، وعلى العاقل أن يعرف خباياها وما يفسدها قبل أي محاولة للإصلاح، ((فكم من عاقل يعرف أنه يشقى باتباع شهواته، ولكنه يعجز عن المخالفة للشهوة، لا لقصور في عقله، بل لفتور هذه القوى التي سميت العقل العملي، وإنما تقوى هذه القوى بالرياضة والمجاهدة والمواظبة على مخالفة الشهوات))(٥٢).

- **الطريق الثاني**: **معرفة المرء لأخلاقه بغيره**:

الإنسان يحتاج في التعرف على عيوب نفسه إلى وسائل وأدوات تمكنه من الوقوف على مساوئها لأنه لا يستطيع بنفسه استقصاء تلك العيوب، وذلك لأن المرء غالبًا ما يتسامح مع نفسه، ويلتمس لها الأعذار، ومن ثم كانت حاجة الإنسان – كما يرى ابن سينا – إلى صديق يُعَرِّفه ويبصره بعيوبه، إذ يقول: ((ولما كانت معرفة الإنسان نفسه غير موثوق بها لما في طباع الإنسان من غباوة

عن مساوئه وكثرة مسامحته نفسه، ولأن عقله غير سالم عن ممازجة الهوى إياه عند نظره في أحوال نفسه، كان غير مستغنٍ - في البحث عن أحواله والفحص عن مساوئه ومحاسنه - عن معونة الأخ اللبيب الواد الذي يكون منه بمنزلة المرآة فيُريه حَسَن أفعاله حَسَنًا وسيئها سيئًا))(٥٣).

ويرى ابن سينا أن أحق الناس بالاستشارة الصديق المخلص، وأحوجهم إليه الرؤساء والملوك والأمراء، لأنهم يهابون من أن يُفصَح لهم بعيب أو يُواجَهوا بنقص ومذمة، فيظنون أن المعايب تخطتهم وأن المثالب تجاوزتهم، خاصة وأن حولهم قرناء السوء الذين يزينون لهم أفعالهم بعكس مَنْ دونهم مِن العامة(٥٤).

ويرشد ابن سينا إلى الرفق في نصيحة الصديق وتبصيره بعيوبه بالحسنى، فيقول: ((ولكن ينبغي لك أن تمس العاقل بالمشورة عليه مسَّك الشوكة الشائكة بجسدك والقرحة الدامية من بدنك على ألين ما تمس وأرفق القول وأفض الصوت وفي أخلى المواطن وأستر الأحوال، والتعريض فيها أبلغ من التصريح، وضرب الأمثال أحسن من التكثيف، فإن رأيت صاحبك يشرئب لقولك إذا بدر منك ويهش له ويصغي إليه فأسبغ القول في غير إفراط ولا إسهاب ولا إملال، ولا تزداد على الوجه الواحد من الرأي، ودعه يختر في قلبه ويتردد في جوانحه، فيعلم بتخلي مغبته. وإن رأيت صاحبك لا يكترث لكلامك إذا ورد عليه فاقطعه وأحل معناه إلى غير ما أردته وأخره إلى وقت نشاطه وفراغ باله))(٥٥).

ومع أهمية هذه الملاحظات وقيمتها في أدب النصيحة إلا أنه كان من الترتيب المنطقي هنا أن يخاطب ابن سينا المرء الذي يريد معرفة عيوبه، فيرشده إلى تقبل نصيحة صديقه، والإصغاء له والاهتمام بكلامه والتبسم في وجهه والشكر له على تلك النصائح ... إلخ.

- **معرفة المرء لأخلاق غيره**:

أما الطريقة الثانية في معرفة عيوب النفس، فتتلخص في تفحص أخلاق الناس، وتفقد شيمهم وخلائقهم، ومقارنة أخلاقهم بحالته، فيقيس نفسه عليهم، فما رآه منهم خطأً ونقصانًا ألزم نفسه الابتعاد عنه واجتنابه، وما رآه عندهم من الفضائل والمناقب الحسَنة حاول التحلي بها، يقول ابن سينا: ((وينبغي لمن عُنِيَ بتعرف مناقبه ومثالبه أن يفحص عن أخلاق الناس، ويتفقد شيمهم وخلائقهم، ويتبصر مناقبهم ومثالبهم، فيقيسها بما عنده، ويعلم أنه مثلهم، وأنهم أمثاله، فإن الناس أشباه، بل هم سواء كأسنان المشط، فإذا رأى المنقبة الحسنة فليعلم أن فيه مثلها إما ظاهرة وإما مغمورة، فإن كانت ظاهرة فليراعيها وليواظب عليها حتى لا تبيد ولا تضمحل، وإن كانت مغمورة فليُثِرْها وليحيها وليحافظ على استدعائها فإنها تجيب بأهون سعي وأسرع وقت . وإذا

رأى المَثلَبَة والعادة السيئة والخلق اللئيم فليعلم أن ميلها راهن لديه إما بادٍ وإما كامن، فإن كان باديًا فليقمعه وليقهره وليتمه بقلة استعماله وشدة نسيانه. وإن كان كامنًا فليحرسه لئلا يظهر، وليحافظ على ستره لئلا يفتضح)) (٥٦).

وقد أشار مسكويه إلى أن جالينوس قد تكلَّم عن معرفة عيوب النفس من خلال تفحص عيوب الناس، وكذلك الكندي تعرَّض لتلك المسألة بأبلغ مما قاله جالينوس، وكلامه فيها دقيق، وقد حوى ما ذكره ابن سينا من استشارة الصديق وتفحص أخلاق الناس، يقول الكندي: ((ينبغي لطالب الفضيلة لنفسه أن يتخذ صور جميع معارفه من الناس مرآة له، تُريه صور كل واحد منهم عندما تعرض له آلام الشهوات التي تثمر السيئات؛ حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له. وذلك أنه يكون متفقدًا سيئات الناس، فمتى رأى سيئة بادية من أحد ذم نفسه عليها، كأنه هو فعلها، وأكثر عتبه على نفسه من أجلها، ويعرض عليها كل يوم وليلة جميع أفعاله حتى لا يشذ عنه شيء منها، فإنه قبيح بنا أن نجتهد في حفظ ما نقضناه من الحجارة الدنيئة والأرمد(٥٧) الهامدة الغريبة منا التي لا ينقصنا عدمها ألبتة في كل يوم، ولا نحفظ ما يتفق من ذواتنا التي بتوفيرها بقاؤنا وبنقصانها فناؤنا. فإذا وقفنا على سيئة من أفعالنا اشتد عذلنا لأنفسنا عليها، ثم لنقيم عليها حدًّا نفرضه، ولا نضيعه. وإذا تصفحنا أفعال غيرنا، ووجدنا فيها سيئة عاتبنا أيضًا نفوسنا عليها، فإن نفوسنا ترتدع حينئذ عن المساوي، وتألف الحسنات، وتكون المساوي أبدًا ببالنا لا ننساها ولا يأتي عليها زمان طويل فيعفى ذكرها. ولذلك ينبغي أن نعمل في الحسنات، لنفرغ إليها، ولا يفوتنا منها شيء))(٥٨).

ومن الملاحظ قِصَر منهج ابن سينا في معرفة عيوب النفس؛ إذ حصره في الاستعانة بصديق ناصح، والمقارنة بأخلاق الآخرين، بينما كانت النظرة شاملة لدى علماء المسلمين من بعده كالماوردي والغزالي وابن الجوزي وغيرهم، وعلى سبيل المثال فإن ابن الجوزي يرى أن التعرف على عيوب النفس الباطنة يتحقق فى نظره بعدة طرق تتلخص فيما يلى:

- الطريق الأول: أن يتخير صديقاً عاقلاً، فيسأله أن يبين له معايبه، ويُعَرِّفُه أن ذلك مِنَّة وفضلا منه، فإذا أخبره بعيب ابتهج بما سمع، ولا يظهر له الحزن؛ حتى لا يقصر فى شرح الأمور.
- الطريق الثانى: أن يبحث عما يقول فيه جيرانه وإخوانه ومعاملوه وبماذا يمدحونه أو يذمونه؟
- الطرق الثالث: أن يتطلع إلى ما يقول فيه الأعداء؛ لأن العدو يبحث عن عيب خصمه، وقد ينتفع الإنسان من عدوه أكثر مما ينتفع من صديقه؛ لأن العدو يذكر النقص، والصديق يستر الخلل، فإذا عرف الإنسان من طريق عدوه نقصًا اجتنبه.

- الطريق الرابع: أن يصور الشخص أفعاله فى غيره، ثم يحكم عليها لو صدرت منهم، فيُقبُل على ما يستحسن، ويترك ما يستقبح.
- الطريق الخامس: أن يتفكر فى عواقب صِفاته وثمرات أفعاله، والفكر الصادق ناقد يُرِى الإنسان عيب العيب وحُسْن الحسَن.
- الطريقَ السادس: أن يعرض أعماله على ميزان الشرع، ويحكم عليها برؤية العقل، فإنه بذلك يعلم الصواب من الخطأ والراجح من التافه.
- الطريق السابع: أن ينظر فى سيرة السابقين الذين اجتهدوا فى العملِ، ثم يقيس أفعاله بأفعالهم، وحينئذ سيجتنب آثار النقص ويراها عيباً فضلاً عن اجتنابه لفعل القبيح(٥٩).

- **واجب المرء بعد معرفة أخلاقه**:

وبعد أن يتعرف المرء على عيوب نفسه، ويقارن أخلاقه بالآخرين محاولا تدعيم وتقوية ما يظهر منه من مكارم الأخلاق، وقمع ما فيه من الرذائل - بعد ذلك يتبع مع نفسه أسلوب الثواب والعقاب، فإن أتت نفسه بخلق كريم أو فعلت منقبة ومحمدة أثابها على ذلك، وإن كانت على العكس عاقبها، يقول ابن سينا: ((وينبغي للإنسان أن يُعِدَّ لنفسه ثوابًا وعقابًا، ويسوسها به، فإذا حسنت طاعتها وسلس انقيادها لما يسومها من قبول الفضائل وترك الرذائل إذا أتت بخلق كريم أو منقبة شريفة أثابها بإكثار حمدها وجلب السرور لها، وتمكينها من بعض لذاتها. وإذا ساءت طاعتها وامتنع انقيادها وجمحت فلم يسلس عنانها وآثرت الرذائل على الفضائل وأتت بخلق لئيم أو فعل ذميم عاقبها بإكثار ذمها ولومها وجلب عليها شدة الندامة ومنعها لذتها حتى تلين له))(٦٠).

والخلاصة أن ابن سينا يرى أن سياسة الرجل لنفسه تقوم على مبدأ أن يعرف الإنسان مساوئه، مستعينًا بأخ لبيب، ومِستهديًا بما يراه من أخلاق غيره، معاقبًا نفسه على التقصير، مثيبًا لها على الحسَن والجميل.

والجدير بالذكر أن ابن سينا أشار في حديثه عن اكتساب الأخلاق والفضائل إلى ضرورة أن يتعاون المرء مع بني جنسه، مع التزامه بما ورد عن الشارع من الطاعات والعبادات، يقول ابن سينا: ((لمَّا لم يكن الإنسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بني جنسه، وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم، لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير، وكان مما يتعسر إن أمكن - وجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظه شرع، يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة، لاختصاصه بآيات تدل على أنها من عند ربه، ووجب أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند الخبير القدير، فوجب معرفة المجازي والشارع... ففرضت عليهم العبادة المذكرة للمعبود، وكررت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير، حتى استمرت الدعوة إلى العدل المقيم لحياة النوع))(٦١).

ومما يساعد في سياسة النفس وتحليها بالفضائل معرفة المرء لمزاجه وصحته، فاعتدال المزاج وسلامة البدن من الأمراض التي قد تؤثر في الأخلاق له أثر كبير في تهذيب النفس، فإذا اعتدل مزاج الإنسان أثَّر ذلك في أخلاقه؛ وكان أكثر استعدادًا لقبول الفضائل، وتهذبت أخلاقه بسهولة، يقول ابن سينا: ((وقد تبين في العلوم الطبيعية أن الأخلاق والعادات تابعة لمزاج البدن، حتى إن من استولى البلغم(٦٢) على مزاجه استولى عليه السكون والوقار والحلم، ومن استولت الصفراء على مزاجه استولى عليه الغضب، ومن استولت عليه السوداء استولى عليه سوء الخلق، ويتبع كل واحد منهما أخلاق أخر لا نذكرها هنا. فلا شك أن المزاج قابل للتبديل، فتكون الأخلاق أيضًا قابلة للتبديل بواسطة تبديل المزاج، فتعين على ذلك استعمال الرياضة المذكورة في كتب الأخلاق. فمهما اعتدل مزاج الإنسان تهذبت أخلاقه بسهوله؛ فلاعتدال مزاجه أثر في ذلك، والمزاج الخارج عن الاعتدال ما تكون إحدى كيفياته الأربعة أو اثنتان منها غالبة عليه، مثلا أن يكون أَحَرَّ مما ينبغي أو أيبس مما ينبغي. وهذه الكيفيات الأربع متضادة، فالمزاج الخارج عن الاعتدال يكون مشتملا إما على ضد أو ضدين، أي ليس فيه حرارة ولا برودة، بل كيفية متوسطة بينهما، وكلما كان المزاج أقرب على الاعتدال كان الشخص أكثر استعدادًا لقبول الملكات الفاضلة العلمية والعملية))(٦٣).

ويؤكد الغزالي على دور اعتدال المزاج وصحة الإنسان في اكتساب الفضائل، فيقول: ((قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه. فلنتخذ البدن مثالا، فنقول: مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه، وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة)) (٦٤).

- **ثالثًا: سياسة الرجل دخله وخرجه (إنفاقه)** :

تحدث ابن سينا عن كيفية سياسة الرجل لدخله وإنفاقه، وقد أشار في ثنايا حديثه إلى نقطة مهمة جديرة بأن نقف عندها؛ لأنها تمثل بُعْدًا أخلاقيًّا إيمانيًّا عظيمًا؛ حيث أشار في سعي الإنسان إلى طلب الرزق إلى وجوب حرصه على صيانة ماء وجهه، والرضا بالقليل الذي لا يُعرِّض الإنسان لفقد كرامته، فهو أفضل من كثير مما ينال بغير ذلك من الوسائل، يقول ابن سينا: ((وليعلم أن كل فضل نيل بالمغالبة والمكابرة وبالاستكراه والمجاهدة وكل ربح حيز بالإثم والعار ومع سوء القالة وقبح الأحدوثة أو ببذل الوجه ونزف الحياة أو بثلم المروءة وتدنيس العرض– زهيدٌ وإن عظم قدْره، نَزْرٌ وإن غزرت مادته، وَبِيلٌ وإن ظهرت

هناءتُه، وخيمٌ وإن كان في مرآة العين مَريًّا(٦٥)، وإن الصفو الذي لا كدر فيه والعفو الذي لا كدح فيه - وإن قل مقداره وخف وزنه - أطيب مذاقا وأسلس وأنمى بركة وأزكى ريعًا))(٦٦).

وإذا حصَّل الإنسان ما قُدِّر له من المال، وحاز ما اكتسبه من سعيه، فالواجب عليه أن ينفقه بصورة عادلة؛ وذلك بأن يصرف بعضه في الإحسان إلى الفقراء وأهل المعرف والصدقة عليهم، وأن يدخر بعضه لنوائب الدهر وأحداث الزمان، ((فأما الزكوات والصدقات فينبغي أن يكون إخراجها بطيب النفس، وحسن النية، وانشراح الصدر، والثقة بأنها العدة ليوم الفاقة. وأن يوضع معظمها في أهل الخُلَّة ممن يساتر الناس بفقره، ولا يهتك ستر الله تعالى عن حاله، ويتوخى بباقيها من تلحقه الرقة ممن ظهرت عيلته، وبدت مسكنته، وأن يجعل ذلك خالصًا لوجه الله ذو الجلال والإكرام، فلا يستثمر له شكرًا، ولا يترصد له جزاء))(٦٧).

فابن سينا يشترط فيمن يصنع المعروف، ويخرج الصدقة ثلاثة شروط، هي:

- أن يكون إخراجها بطيب نفس وانشراح صدر، واحتساب لأجرها عند الله في الآخرة.
- أن يحرص على غالب صدقته أن تقع في المحتاجين من الفقراء المتعففين الذين لا يؤبه لهم.
- أن يخلص النية لله في فعله، فلا ينتظر جزاءً ولا شكرًا من أحد.

أما في عملية الإخراج نفسها فهناك شروط أخرى لا بد من مراعاتها: كتعجيله، وكتمانه، وتصغيره، ومواصلته، وإعطائه لمستحقه، يقول ابن سينا: ((وللمعرف شرائط: أحدهما تعجيله فإن تعجيله أهنأ له، والثانية كتمانه فإن كتمانه أظهر له، والثالثة تصغيره فإن تصغيره أكبر له، والرابعة رَبُّه(٦٨) ومواصلته فإن قطعه يُنْسي أوله ويمحو أثره، والخامسة اختيار موضعه فإن الصنيعة إذا لم توضع عند من يحسن احتمالها ويؤدي شكرها وينشر محاسنها وقابلها بالود والموالاة كانت كالبذر الواقع في الأرض السبخة التي لا تحفظ الحب ولا تنبت الزرع))(٦٩).

- **رابعًا: سياسة الرجل أهله (زوجه) :**

بدأ ابن سينا حديثه عن سياسة الرجل أهله بالإشارة إلى أن المرأة الصَّالحة شريكة للرجل فِي ملكه وَقِيمَته فِي مَاله وخليفته فِي رَحْله، وَخير النساء العاقلة الدَّيِّنَة الحيية الفطنة الْوَدُود الوَلُود القصيرة اللسان الناصحة الأمينة الرزان في مجلسها الوقور فِي هيبتها المهيبة في قامتها الخفيفة المبتذلة في خدمتها لزوجها، تحسن تدبيرها، وتُكَثِّر قليله بتقديرها، وتجلو أحزانه بجميل أخلاقها، وتسلى همومه بلطيف مداراتها(٧٠).

وفي سياسة الرجل أهله يشير ابن سينا إلى أن جماع سياسة الرجل أهله ثلاثة أمور، هي: الهيبة الشديدة، والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم.

ويفصل ذلك فيقول في الأساس الأول: ((أما الهيبة فهي إذا لم تهب زوجها هان عليها، وإذا هان عليها لم تسمع لأمره ولم تصغ لنهيه، ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها، فتعود آمرة ويعود مأمورًا، وتصير ناهية ويصير منهيًّا، وترجع مدبِّرة ويرجع مدبَّرًا، وذلك الانتكاس والانقلاب. والويل للرجل حينئذ ماذا يجلب له تمردها وطغيانها، ويجنيه عليه قصر رأيها وسوء تدبيرها، ويسوقه إليه غيها وركوبها هواها من العار والشنار والهلاك والدمار، فالهيبة رأس سياسة الرجل وعمادها، وهي الأمر الذي يسد به كل خلة، ويتم تمامه كل نقص، وينوب عن كل غائب، ويغني عن كل فائت، ولا ينوب عنه شيء، ولا يتم دونه فيما أمر بين الرجل وأهله، وليست هيبة المرأة بعلها شيئًا غير إكرام الرجل نفسه، وصيانة دينه ومروءته وتصديقه وعده ووعيده))(٧١).

والحق، إن قول ابن سينا بالهيبة الشديدة يتنافى مع روح الإسلام، ومع مكارم الأخلاق، وحسن العشرة بين الزوجين، وقد جعل الله سبحانه أساس العشرة بينهما قائمًا على المودة والرحمة، وهذا مما يتنافى مع ما يشير إليه ابن سينا من الهيبة الشديدة.

صحيح أنه مطلوب من المرأة أن تُجِلَّ زوجها وأن تحترمه وتقدره، لكن أن تصل درجة الاحترام إلى الهيبة الشديدة، فذلك مما ننكره على ابن سينا.

والأساس الثاني الذي يبني عليه ابن سينا سياسة الرجل لأهله هو الكرامة التامة فإذا ما أنفق الزوج على زوجه، ورأت منه الكرم التام أظهرت من أخلاقها أمورًا كثيرة جميلة لم يكد الرجل يقدر عليها من غير هذا الباب.

أما الأساس الثالث فهو أن يُشْغِلَ الرجِلُ خاطرَ زوجه بالأمور المهمة، ومن أمثلتها – كما يرى ابن سينا - تربية أَوْلادهَا وتدبير خدمها وتفقد مَا يضمه بيتها من أعمالها(٧٢).

لقد أجاد ابن سينا في حديثه عن المرأة، ونظر إليها نظرة احترام بعكس أفلاطون من فلاسفة اليونان؛ فإنه لا ينظر إلى المرأة سوى أنها أداة إنجاب داعيًا إلى شيوعية المرأة فى كتابه الجمهورية الذى ألغى فيه دور الأسرة، ونظر إلى المرأة نظرة احتقار وامتهان –شأن المجتمع اليوناني - ولا يرى لها حقوقا؛ حتى إنه فى محاورة الجمهورية يصنفها مع الحيوان والأطفال والمجانين(٧٣)!.

- **خامسًا: سياسة الرجل أولاده:**

اهتم العلماء والمربون العرب المسلمون الأوائل بتربية الطفل والعناية به صحيًّا ونفسيًّا، وكان ابن سينا أحد أولئك الذين أفاضوا في الحديث عن

العناية بالطفل في مراحل نموه المختلفة، وأسهم من خلال كتابه السياسة في وضع قواعد منهجية لتربية الأولاد، وله في ذلك آراء فلسفية وتربوية مهمة، وقد حظيت هذه الآراء عناية خاصة لدى الكثير من الباحثين والعلماء من الشرق والغرب ولقرون عديدة.

وبالإضافة إلى كتاب السياسة كتب ابن سينا رسائل في الحكمة العملية والسياسة المنزلية، منها: كتاب العهد ، وكتاب البر والإثم، ورسالة في علم الأخلاق، بالإضافة إلى كثير من الشذرات في كتبه الأخرى التي تركها، والتي يتضح منها الفكر الأخلاقي والتربوي عند ابن سينا.

وقد تحدث ابن سينا في كتاب السياسة عن بعض الجوانب التربوية الواجب مراعاتها في تأديب النشء وتربية الأولاد، ويكاد يكون في كلامه منطلقا مما ورد في السُّنة النبوية بخصوص ذلك؛ إذ يشير إلى أنه من حقوق الطفل على والده اختيار اسم حَسَن له، واختيار مرضعة حسنة، فإذا فُطِمَ الصبي عن الرضاع بُدِئ بتأديبه وتهذيب أخلاقه، فإذا اشتدت مفاصله واستوى لسانه أخذ في تعليم القرآن وحروف الهجاء، ولُقِّنَ معالم الدين والفاضل من الشعر، فإذا فرغ من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته؛ فوُجِّهَ لما يتناسب مع ميوله من العلم والعمل، وإذا ما أتقن صنعة وقَدِرَ على الكسب وصار شابًّا فمن التدبير أن يُزوَّج ويُفرَد في المعيشة.

هذا هو مجمل رأي ابن سينا في سياسة الصبيان، والتي يصفها أحد الباحثين بأنه من الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بتأديب الأولاد وتربيتهم؛ حيث دعا إلى مراعاة أخلاق الطفل وإبعاده عن المؤثرات الضارة على سلوكه وأخلاقه، وكان يرى أن الإنسان يكتسب الخير أو الشر من البيئة التي حوله، ولذا أوضح أن عملية اكتساب الخلق تبدأ من السنوات الأولى في حياة الطفل، كما دعا إلى الاهتمام بالتعلم منذ السادسة(٧٤).

ونتناول فيما يلي بإيجاز أهم المواضيع التربوية التي تعرَّض لها ابن سينا في حديثه عن سياسة الرجل مع ولده:

- (١) **الأخلاق بين الوراثة والاكتساب**:

إذا كان ابن سينا قد أقر بأن الأخلاق في الإنسان مكتسبة، وأن الإنسان لديه القابلية والقدرة على فعل الخير والشر، ويمكنه أن ينتقل من هذا إلى ذاك - فإنه يشير في بداية كلامه عن سياسة الرجل ولده إلى أن الأخلاق يمكن أن تورث، ولذا يحض على أن تكون المرضع امرأة صالحة، يقول ابن سينا: ((إن من حق الولد على والديه إحسان تسميته، ثم اختيار ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ورهاء ولا ذات عاهة، فإن اللبن يُعْدِي كما قيل))(٧٥).

وقد ذهب إلى هذا الرأي من بعده الغزالي؛ فأوجب على والد الصبي ((أن يراقبه من أول أمره؛ فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال؛ فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبيث؛ فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث))(٧٦).

فالدعوة إلى أن تُرضع الطفلَ امرأةٌ متدينة فيه إشارة صريحة إلى الحكم بوراثة الأخلاق؛ إذ لا يمكن أن تعتبر الرضاعة نوعًا من الأدب والتدريب؛ إذ كانت تسبق الإدراك والتمييز، وذكر الغزالي قبل هذا الكلام قوله إن قلب الطفل جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وقابلة لكل صورة. وفي هذا الكلام إشارة إلى أن الأخلاق لا تورث.

والحق أن الأخلاق تورث، وأن هذه الوراثة لا تمنع قبول الطفل لكل صورة، فالفطرة البشرية صالحة لكل غرس، لأن الأخلاق التي يرثها الطفل من أبويه تولد معه ضعيفة ميسورة الاقتلاع، بل الكهول يقدرون على استئصال رذائلهم بالرياضة والمجاهدة، والطباع التي يرثها المرء من أبويه لا تعاوده إلا عند خمود مزاياه التي كسبها بنصح أساتذته أو بتأثير بيئة صالحة ساقته إليها الأقدار(٧٧).

وإذا تجاوز الصبي مرحلة الرضاع وفُطِمَ عنه فإنه هنا قابل لأن يكتسب ما يُرَوَّض عليه من أخلاق، فنبتدئ معه مرحلة أخرى من التأديب؛ بأن يتعلم محاسن السلوك والأخلاق، حتى لا يكتسب الصفات الذميمة والرذائل، ومن ثم فإنه ((إذا فطم الصبي عن الرضاع بُدِئَ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة، وتفاجئه الشيم الذميمة. فإن الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق، وتنثال عليه المصائب الخبيثة، فما تمكن منه من ذلك غلِبَ عليه، فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعًا))(٧٨).

وقد خصَّص ابن سينا في الكتاب الأول من كتاب القانون في الطب فصلا خاصًّا للحديث عن تربية الأطفال وأمراضهم، وقد سماه التعليم الأول في التربية، وقسمه إلى أربع مقالات. المقالة أو الفصل الرابع تتناول تدبير الطفل وتربيته حتى سن البلوغ، ويؤكد ابن سينا في هذا الفصل على ضرورة مراعاة نفسية الطفل بحيث لا يصيبه غضب شديد أو خوف شديد أو غم أو سهر، ويبين أن في ذلك منفعتان؛ أولاهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حَسَن الأخلاق، ويصير ذلك له مَلَكة لازمة، والمنفعة الثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج فكذلك إذا انحرفت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها، ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعا، يقول ابن سينا: ((إذا انتقلوا إلى سن الصبا يجب أن يكون وكد العناية مصروفا إلى مراعاة أخلاق الصبي، فيُعَدَّل؛ وذلك بأن يحفظ كيلا يعرض له غضب شديد أو

خوف شديد أو غم أو سهر، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن إليه، فيقرب إليه، وما الذي يكرهه، فينحى عن وجهه. وفي ذلك منفعتان: إحداهما في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حَسَن الأخلاق، ويصير ذلك له مَلَكة لازمة. والثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج، فكذلك إذا حدثت عن العادة استتبعت سوء المزاج المناسب لها،... ففي تعديل الأخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن جميعًا معًا))(٧٩).

- (٢) **استخدام الثواب والعقاب**:

يشير ابن سينا إلى وجوب اتباع بعض الأساليب في تأديب الصبيان: كالترغيب والترهيب والمكافأة والعقاب، والضرب أحيانًا، وغير ذلك من الوسائل، والتي الغرض منها أن يتجنب الصبي الرذائل، وأن يثبت على الفضائل، يقول ابن سينا: ((فينبغي لقيِّم الصبي أن يُجَنِّبَه مقابح الأخلاق، وينكب عنه معايب العادات: بالترهيب والترغيب، والإيناس والإيحاش، وبالإعراض والإقبال، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى، ما كان كافيًا، فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لا يحجم عنه، وليكن أول الضرب قليلاً مُوجِعًا، كما أشار به الحكماء قبلُ - بعدَ الإرهاب الشديد وبعد إعداد الشفعاء؛ فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها، واشتد منها خوفه، وإذا كانت الأولى خفيفة مؤلمة حسن ظنه بالباقي، فلم يحفل به))(٨٠).

فابن سينا يرى أنه يجب استعمال الرفق واللطف مع الصبي إذا أخطأ أول مرة، مع مراعاة نفسية الطفل ومعاملته المعاملة التي تليق به، واختيار العقوبة التي تتناسب معه؛ كالتأنيب والتوبيخ أو الضرب والعقوبة البدنية، ولأن الغرض من العقوبة الإصلاح فلا بد من استعمال الحكمة فيها ، فندرس غرائز الطفل وميوله وأخلاقه، ونُعَرِّف المخطئ بخطئه حتى يعرف خطأه فيندم ويعتذر(٨١).

لقد اعتبر ابن سينا مبدأ العقاب ضرورة تربوية يُلجأ إليها في بعض الحالات الملحة، والعقوبة عند ابن سينا إرشاد وتوجيه للسلوك وحرص على تعديله برفق، وليس الدافع من ورائه الانتقام والكراهية، بل حسن التربية والإخلاص في العمل.

- (٣) **التدرج في التعليم**:

فإذا كبر الطفل، واشتدت مفاصله، وأجاد اللغة والكلام، وصار لديه استعداد للحفظ والتعليم، بدئ معه في تعليم القرآن وحروف الهجاء، ولُقِّنَ معالم الدين، ورُوِّيَ من الشعر ما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل، وعيب السخف وما فيه، وحُثَّ على بر الوالدين واصطناع المعروف وقِرى الضيف وغير ذلك من مكارم الأخلاق، ((فإذا اشتدت مفاصل الصَّبِي واستوى لسانه وتهيأ للتَّلْقِين ووعى سمعه أخذ في تعلم القرآن، وصُوِر له حُرُوف الهجاء، ولُقِّنَ معالم الدين.

وينبغي أن يُروَّي الصَّبي الرجز ثمَّ القصيدة؛ فإن رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن؛ لأن بيوته أقصر ووزنه أخف. ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وعيب السخف، وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الأخلاق))(٨٢).

ويلاحظ دعوة ابن سينا إلى التدرج في تعليم الصبيان من خلال: البدء بالرجز ثم القصيدة لما في رواية الرجز من سهولة . وابن سينا هنا يراعي مبدأ تربويًا مهمًا في الحفظ والاستظهار بالبدء بالسهل اليسير، ثم الانتقال من السهل إلى الصعب، مع مراعاة المستوى العقلي للطفل. كما يركز على تعلم القيم؛ من خلال وجوب تعليم الصبي ما يدل على فضل العلم وبر الوالدين وصنع المعروف.

- (٤) **التعلم الجماعي وجماعة الرفاق**:

ويدعو ابن سينا إلى ضرورة أن يكون مع الصبي في مكتب المعلم صبية من الأولاد المؤدَّبين، ذوي الأخلاق الحسنة؛ وذلك لما لهم من دور وأثر في عملية التعلم؛ إذ كثيرًا ما يتعلم الطفل من أقرانه، لذلك يجب أن يحاط الصبي مع من هم حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم، لأن الصبي - كما قال - عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ وبه آنس. يقول ابن سينا: ((وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه، صبية من أولاد الجلة، حسنة آدابهم مرضية عاداتهم، فإن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس. وانفراد الصبي بالمؤدب أجلب الأشياء لضجرهما. فإن راوح المؤدب بين الصبي والصبي، كان ذلك أنفى للسآمة وأبقى للنشاط، وأحرص على التعلم والتخرج فإنه يباهي الصبيان مرة، ويغبطهم مرة، ويأنف من القصور عن شأوهم مرة، ثم يحادث الصبيان، والمحادثة تفيد انشراح العقل، وتحل منعقد الفهم، لأن كل واحد من أولئك إنما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع، ... ثم إنهم يترافقون ويتعارضون الزيارة ويتكارمون ويتعارضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة؛ وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لِهِمَمِهم وتمرين لعاداتهم)) (٨٣).

وفي النص السابق إشارة من ابن سينا إلى الدور البارز لأقران التعلم، وضرورة اتصافهم بحسن الأدب، وضرورة حضورهم مع المتعلم في زمن التعلم، مما يفيد في المراجعة والمعارضة والمباراة بينهم، وغير ذلك من عوامل التعلم التحفيزية.

وكذلك في النص السابق إشارة إلى أثر القدوة الحسنة والبيئة الطيبة وأثر التقليد في تربية الطفل تربية خُلقية؛ لأن الطفل يحاكي غيره من الصبيان في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، ونزعة التقليد لديه نزعة فطرية؛ ولهذا يجب أن نسأل عن البيئة التي يختلط بها الابن، ونسأل عن أصدقائه الذين يتصل بهم، ونحثه على حُسن اختيارهم، وعدم الاختلاط بأي طفل شرس أو وقح أو سيئ الخُلق، ((وابن سينا يستخدم الميل الفطري في الطفل إلى الاجتماع بغيره من

الأطفال، واتخاذه أداة فعالة من أدوات التربية الخُلُقية، ولكنه – كما قلنا – لايطلق العنان للطفل ليجتمع بأي نوع من الأطفال، بل يشترط أن يكون اجتماعه بأطفال طيبين. وله غايات أخرى من اجتماع الطفل بمثل هؤلاء الأطفال، فهو لابد أن يرى فيهم ما يثير حماسته، فيندفع إلى اللحاق بهم؛ ليبلغ شأوهم في الفهم وغيره))(٨٤).

- (٥) **حُسْن اختيار المعلم**:

وضع ابن سينا شروطا ومواصفات لمن يكون أهلا لتعليم الصبيان، ومن ثم نصح باختيار مُعلم مؤدب عاقل ذي دين، بصير برياضة الصبيان وتهيب الأخلاق.

وقد وجَّه الأنظار إلى الصفات السلوكية والخلقية التي يجب على المعلم أن يتمتع بها؛ إذ أنه يجب أن يكون قدوة حسنة لمن يعلمهم. يقول ابن سينا: ((وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا، ذا دين، بصيرًا برياضة الأخلاق، حاذقا بتخريج الصبيان، وقورًا رزينًا غير كزّ ولا جامد، بل حلوًا لبيبًا، ذا مروءة ونظافة ونزاهة))(٨٥).

وفي هذا الكلام نظرات صائبة لما يجب أن يكون عليه المعلم، وهي آراء تقترب من الآراء التربوية الحديثة في المربي والمعلم الذي يجب أن يكون دارسًا لعلم نفس النمو وسن الطفولة والمراهقة، وكما يقول أحد الباحثين: ((يتطلب ابن سينا أن يكون مؤدب الصبي بصيرًا برياضة الأطفال، لأن تربيتهم تحتاج إلى خبرة ودراسة، وإعداد خاص، وأخلاق طاهرة، وتحتاج في نظرنا إلى أن يدرس التربية وتاريخها وطرقها ونفسية الأطفال؛ حتى ينتفع بتجارب غيره من المربين، ويعمل لتنفيذ ما يعرفه من نظريات التربية وعلم النفس والاتجاهات الحديثة في التربية، فدراسة التربية وعلم النفس تحفظه من الضلال في الطريق، وتساعده كثيرًا في النجاح في العمل، وتسهل له الصعاب التي تواجهه في التربية والتهيب)) (٨٦).

- (٦) **توجيه التلاميذ بحسب ميولهم ومواهبهم**:

إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة فعلى المعلم في هذه المرحلة أن ينظر إلى استعداد الطالب وميوله ومواهبه وقدراته وما يصلح له من الصناعات والأعمال؛ فيوجهه بحسب ما يوافق طبعه وميوله واستعداداته، فإن أراد الكتابة مثلا أضيف إلى دراسة اللغة ودراسة الرسائل والخطب ومساجلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك، وفي أهمية الميول والرغبات ومراعاة الفروق الفردية يقول ابن سينا: ((بعد أن يعلم مُدبِّر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه، وأن لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملائمة . إذن ما كان أحد غفلا من الأدب وعاريًا من صناعة، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار

أشرف الآداب وأرفع الصناعات. ومن الدليل على ما قلناه سهولة بعض الأدب على قوم وصعوبته على آخرين، ولذلك نرى واحِدًا تواتيه البلاغة، وآخر يواتيه النحو، وآخر يواتيه الشعر، وآخر يواتيه الخطب، وآخر يواتيه النسب،... فإذا خرجت عن هذه الطبقة إلى أخرى وجدت واحدًا يختار علم الحساب، وآخر يختار علم الهندسة، وآخر يختار علم الطب، وهكذا تجد سائر الطبقات إذا افتليتها طبقة طبقة حتى تدور عليها جميعًا. ولهذه الاختيارات وهذه المناسبات والمشاكلات أسباب غامضة وعلل خافية تدق عن أفهام البشر، وتلطف عن القياس والنظر لا يعلمها إلا الله جل ذكره))(٨٧).

ولا شك أن من هذه العلل أن يحتاج البشر بعضهم إلى بعض، وأن ينشأ الترابط والتعاون بين أفراد المجتمع جميعًا، ويتحقق العمران.

ثم يشير ابن سينا إلى مراعاة الميولات الخاصة بالمتعلم وتباين ملكاتهم واختلاف مواهبهم، لأن هناك من لا يميل إلى العلم والآداب، وينفر من الصناعات، فيختار له ما يتوافق معه من الصنائع بعد اختباره، يقول ابن سينا: ((فلذلك ينبغي لمدبر الصبي إذا رام له اختيار الصناعة أن يزن أولا طبع الصبي، ويسبر قريحته، ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعات بحسب ذلك)) (٨٨).

وفي كلام ابن سينا السابق إشارة إلى التوجيه المهني والذي يهدف إلى توجيه المتعلم إلى المهنة التي تناسب إمكاناته. ولا شك أن للتوجيه أهمية كبرى في التأديب والتعليم، وغالبًا ما يؤتي التوجيه الصحيح ثماره، بل إن التخصص الذي ينصح به ابن سينا بعد الثقافة الخلقية والدينية هو مبدأ تربوي حديث؛ حيث يجب الأخذ بعين الاعتبار ميول الطفل وتوجهاته وقابليته نحو الدراسات التي تؤهله لها تلك الميول؛ وذلك لكي يكون مبدعًا في دراسته ومتوفقا في مهنته المستقبلية.

فإذا أتقن الصناعة فمن التدبير أن يعرض للكسب، ويُحْمَل على التعيش منها، فإذا كسب الصبي من صناعته، فمن التدبير أن يزوج ويفرد(٨٩).

- **سادسًا: سياسة الرجل للخَدَم** :

في بداية حديث ابن سينا عن سياسة الخَدَم أشار إلى أنه ينبغي الاهتمام بتربية الخدم وتهذيب أخلاقهم؛ لأنهم كالجوارح من الجسد؛ فهم بالنسبة للرجل كيَدِه ورجله، ((فينبغي لك أن تحمد الله عز وجل على ما سخر لك منهم وما كفاك، وأن تحوطهم ولا تقصيهم، وتتفقدهم ولا تهملهم، وترفق بهم ولا تحرجهم؛ فإنّهم بشر يمسهم من الكلال واللغوب ومن السآمة والفتور ما يمس البشر وتدعوهم دواعي حاجاتهم وإرادات أجسامهم إلى ما في طباع البشر إرادته والحاجة إليه))(٩٠).

وينبغي اختيار مَنْ يصلح من الخدم بعد اختبارهم لانتقاء الصالح منهم مع البعد عن أصحاب الأخلاق المضطربة، وإذا أراد أن يُنْكر على أحد من خدمه في خطأ ما فإنه ((لا ينْبغي أن يكون نكير الإنسان على الخادم إذا أراد الإنكار عليه صرفه عنه؛ فإن ذلك من دلائل ضيق الصدر وقلة الصبر وخفة الحلم ولأنّه إذا صرفه احتاج إلى غيره بدلا منه وخَلَفا عنه، وغيره مثله أو قريب منه، وإذا استمرت به هذه العادة أوشك أن يبقى بلا خادم، بل ينبغي له أن يقرر في قلوب خدمه أن أحدًا منهم لا يجد إلى مفارقة رَحْله والخروج عن داره وكنفه سبيلا، فإن ذلك أتم للمروءة وأدل عل الوفاء والكرم))(٩١).

وعلى السيد أن يستخدم من طرق الإصلاح والتهذيب ما يستطيع دون طردهم، ((وليكن عند الصاحب لِخَدَمه - دون صرفهم وإخراجهم وسوى نبذهم وإطراحهم - منازل من الاستصلاح والتقويم فمن استقام له بالتأديب عوجه واعتدل بالثقاف أوده فليشدده يدًا ويوسعه عنْد الزلة عفوًا)) (٩٢).

- **المحور الثالث** : **اكتساب الأخلاق وتحصيلها عند ابن سينا** :

اهتم ابن سينا بمعرفة الفضائل وكيفية اقتنائها، ومعرفة الرذائل وكيفية توقيها، وأوضح أن طريق الكمال المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة يكمن في تحصيل الإنسان ما يلزم لقوتيه النظرية والعملية من العلوم والفضائل، يقول ابن سينا: ((المعتني بأمر نفسه، المحب لمعرفة الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكو بها نفسه، ومعرفة الرذائل وكيفية توقيها لتتطهر عنها نفسه، المؤثر لها أن تسير بأفضل السير؛ فيكون قد وفّى إنسانيته حقها من الكمال المستعد به للسعادة الدنيوية والأخروية - يجب عليه تكميل قوته النظرية بالعلوم المحصلة المشار إلى غاية كل واحد منها في كتب إحصاء العلوم، وتكميل قوته العملية بالفضائل التي أصولها العفة والشجاعة والحكمة والعدالة المنسوبة كل فضيلة منها إلى قوة من قواه، وتجنب الرذائل التي بإزائها))(٩٣).

فالسياسة الأخلاقية عند ابن سينا ترتبط بسعي الإنسان للوصول إلى الكمال في اكتساب العلم والفضيلة، وله منهج وطرق وأساليب لاكتساب الفضائل والأخلاق الحميدة، وللتخلص من الرذائل والأخلاق الذميمة، وكانت له في ذلك إشارات كثيرة في كتبه، كما خصص لذلك كتابين صغيرين أو رسالتين هما كتاب البر والإثم ورسالة في علم الأخلاق، وفيهما يعرض لمعاني كثير من الفضائل الخلقية. ويُعَرِّفُ الفضائل بأنها الهيئات التي تفعل بها النفس أفعالها على أتم ما يكون، هذه الهيئات الجيدة تسمى فضائل، والهيئات الرديئة لها تسمى الرذائل(٩٤).

وتتلخص رؤية ابن سينا ومنهجه في اكتساب الأخلاق وتحصيلها في أربعة أمور، فيما يلي:

• **أولا: الاكتساب:**

كل إنسان مفطور على قوة بها يفعل الأفعال الجميلة، وبتلك القوة بعينها يفعل الأفعال القبيحة، ومن ثَمَّ فالإنسان مُعَد بالطبع لاكتساب الفضائل أو الرذائل، ولا يمكن أن يفطر على الفضيلة وحدها أو على الرذيلة وحدها، ولكنه يمكن أن يميل إلى أفعال فاضلة أو رذيلة، فيسهل عليه فعل إحداهما، وبهذا يكون الخلق مكتسبًا المحمود منه والمذموم على السواء، يقول ابن سينا: ((ليس يمكن أن يفطر الإنسان بالطبع ذا فضيلة وذا رذيلة، ولكنه يمكن أن يفطر معدًّا نحو أفعال فضيلة ورذيلة، فيسهل عليه أفعال أحدهما))(٩٥).

وكون الأخلاق كلها مكتسبة، والمرء يمكنه اكتساب الخلق والانتقال منه لآخر – هذا ما يصرح به ابن سينا في وضوح، إذ يقول: ((والأخلاق كلها الجميل منها والقبيح هي مكتسبة، ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق حاصل أن يحصله لنفسه، ومتى صادف أيضًا نفسه على خلق حاصل أن ينتقل بإرادته إلى ضد ذلك الخلق))(٩٦).

وهكذا يكون عند الإنسان استعداد فطري به يكتسب الخلق المحمود كما يكتسب الخلق المذموم، كما يمكنه أن يتحول من خلق إلى آخر، فالأخلاق كلها الجميل منها والقبيح مكتسب. ((والاستعدادات الطبيعية منها ما يمكن أن يزال ويعسر بالعادة لو تكرر ويضعف وينقص. ومنها ما لا يمكن ذلك فيها، ولكن يمكن أن يخالف بالصبر وضبط النفس عنها، وكذلك الأخلاق تنقسم هذه القسمة. وبين الفاضل والضابط لنفسه فرق؛ فإن الأول يفعل الخير وهو يهواه ويستلذه ولا يتأذى به، والثاني يفعله وهو يهوى ضده، ويتأذى بفعل الخير ولا يستلذه. وكذلك بين العفيف وبين الضابط لنفسه غير أن الضابط يقوم مقام الفاضل في كثير من الأمور... وغير ممكن أن يوجد إنسان مفطورًا على استعداد، ثم لا يمكنه أن يفعل أضداد ذلك الاستعداد، كما في الأخلاق كذلك سواء. فإن صاحب كل واحد من هذين قادر على أن يخالف ويفعل الأفعال الكائنة عن ضد ذلك الاستعداد والخلق، ولكنه يعسر إزالته بالعادة)) (٩٧).

ويؤكد ابن سينا أن القوة التي تُفعل بها الأفعال الجميلة هي نفس القوة التي تفعل بها الأفعال القبيحة، والفطري في الإنسان هو هذه القوة فقط، أما الأخلاق كلها جميلها وقبيحها فهي مكتسبة، والكمال الأخلاقي يتوقف كاملا على إرادة الفرد لكن عليه أن يُعَوِّد نفسه على السلوك المطلوب، فكما أن تربية البدن بتكوين أفعال إيجابية من الأفعال الشرطية المنعكسة تحفظ للإنسان سلامته الجسمية، كذلك فإن سلامته المعنوية الأخلاقية يمكن حفظها وتقويتها بتعويد النفس على السلوك الملائم، فالعادة طبيعة ثانية (٩٨).

وخلاصة الأمر أنه ليس هناك نفوس خيرة ونفوس شريرة بالفطرة، إنما هناك ملكة واستعداد وهيئة، بهذا الاستعداد يكتسب الإنسان الخلق المحمود كما

يكتسب الخلق المرذول، فإما أن يصير فاضلا بانسياقه واختياره للفضائل الخلقية وفعله لها، وإما أن يصير شريرًا باكتسابه للشرور والرذائل، ((وأما الفاضل بالفضائل الخلقية فإنه يهوى وينساق إلى الغايات التي هي خيرات بالحقيقة، ويجعلها غَرَضُه، والشرير يهوى الغايات التي هي شرور بالحقيقة، ويتخيلها لأجل مرض نفسه))(٩٩).

ولا شك أن مجاهدة النفس ورياضتها على الأخلاق الحميدة وسيلة من وسائل اكتساب الأخلاق؛ وذلك بحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب، ((فمن أراد مثلا أن يُحَصِّل لنفسه خُلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد؛ وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدًا نفسه فيه، حتى يصير ذلك طبعًا له، ويتيسر عليه؛ فيصير به جوادًا. وكذا من أراد أن يُحَصِّل لنفسه خُلق التواضع، وقد غلب عليه الكِبْر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خُلقًا له وطبعًا، فيتيسر عليه. وجميع الأخلاق المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق)) (١٠٠).

- **ثانيًا: التوسط**:

لم يخرج ابن سينا عما قاله أرسطو من أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، فالفضيلة وسط بين رذيلتين هما إفراط وتفريط؛ فالعفة وسط بين الشَرَه وبين خمود الشهوة، والعدالة وسط بين الظلم والانظلام، وهكذا، يقول ابن سينا: ((أكثر هذه الفضائل هو الوسائط بين الرذائل والفضيلة منها وسط بين الرذيلتين اللتين هما كالإفراط والتفريط؛ فالعفة وسط بين الشره والشبق وما أشبههما وبين خمود الشهوة، والسخاء توسط بين البخل والتبذير، والعدالة وسط بين الظلم والانظلام، والقناعة وسط بين الحرص والاستهانة بتحصيل الكفاية وهي التي تسمى بالانحلال، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور)) (١٠١).

ويؤكد ابن سينا على العبارة السابقة، فيقول في موضع آخر: ((والفضائل إنما هي وسائط بين رذائل، وكل فضيلة بين رذيلتين، فالعفة متوسطة بين الشره وبين عدم الإحساس باللذة. والسخاء متوسطة بين التبذير والتقتير، والظرف متوسط في الهزال واللعب بين المجون والخلاعة...، والتواضع متوسط بين التكبر والتحابب، وبين العداوة والكرم، وبين الجرح والتطرية، وبين النذالة، والحلم بين إفراط الغضب وبين أن لا تغضب على شيء أصلا، والحياء بين الوقاحة والحصر، والتردد بين العنت والتملق))(١٠٢).

أما عن معرفة الفعل الوسط وتقديره فإن ذلك يختلف من شخص لآخر، بل إنه يختلف مع نفس الشخص من حال لأخرى، ومن ثم فإن هذا التوسط

((مختلف بحسب الإضافة إلى الأشخاص المختلفة ومن إليه الفعل ولأجله، وبحسب الزمان والمكان والحال في ذلك كالحال في تدبير الأبدان)) (١٠٣).

وذلك مثل المحافظة على الصحة تختلف من بدن لآخر، وتختلف بأحوال نفس البدن، وباختلاف الزمان والمكان، ((وكما أن المتوسط فيما يكتسب به الإنسان الصحة أو يحفظ عليها الصحة إنما يقدر بأحوال الأبدان التي تعالج، ويقدر ذلك بحسب الأزمان. فإن الذي هو حار بالاعتدال عند بدن زيد قد يكون أزيد مما ينبغي عند بدن عمرو، وكذلك ما هو في الشتاء حار باعتدال بدن ما عسى أن لا يكون معتدلا لذلك البدن بعينه في زمن الصيف. كذلك المتوسط في الأفعال إنما يقدر بحسب الحين وبحسب المكان وبحسب مَنْ منه يكون الفعل وبحسب ما من أجله يكون الفعل وبحسب ما فيه بالفعل))(١٠٤).

فالإنسان يقيس حاله مثل الطبيب إذا صادف البدن أميل إلى الحرارة أزال ذلك عنه بالبرودة، وإذا وجده أميل إلى البرودة أزال ذلك عنه بالحرارة، كذلك إذا وجدنا أنفسنا قد مالت إلى خُلق ما من جهة الزيادة فينبغي أن نزيل ذلك بفعل الخلق المضاد له من جهة النقصان، وإذا وجدنا أنفسنا قد مالت إلى خلق ما من جهة النقصان جذبناها إلى الخلق المقابل له من جهة الزيادة، إلى أن نصل إلى الوسط المطلوب، ((والوجه في ذلك أن نعودها الأفعال الكائنة عن ضد الذي صادفناها عليه، وذلك مثل أن ننظر فإن كان ما صادفناها عليه من جهة النقصان فعلنا الأفعال الكائنة من جهة الزيادة، ونكرر فعل ذلك زمانًا، ولا نزال كلما صادفنا أنفسنا مالت إلى جانب أملناها إلى الجانب الآخر. أعني كلما رأينا أنفسنا مالت إلى الزيادة جذبناها إلى النقصان، وإذا مالت إلى النقصان جذبناها إلى الزيادة إلى أن تبلغ الوسط أو تقاربه))(١٠٥).

وهكذا فإن المحافظة على الفعل المتوسط له دور في اكتساب الأخلاق لمن لم تكن عنده، فإذا حافظ الإنسان على الفعل المتوسط اكتسب الخلق المحمود، وصار طبعًا لدية بالتكرار والعادة، وإذا كان هذا الخلق لدى الإنسان فَفَعَلَ الفضائل التي هي الأفعال المتوسطة فإن ذلك يحفظ هذا الخلق ويثبته لدى صاحبه؛ فالأفعال المتوسطة لها دور في اكتساب الفرد للخُلق الجديد وفي تثبيت ما لديه من أخلاق، وفي هذا يقول ابن سينا: ((إن الأفعال متى كانت متوسطة كسبت الخلق المحمود، ومتى لم تكن حاصلة، وكانت فعلت بعد حصول الخلق المحمود حفظته على حاله، ومتى كانت زائدة على ما ينبغي أو ناقصة، فإنها إن كانت قبل حصول الأخلاق الجميلة كسبت الأخلاق القبيحة، وإن كانت بعد حصول الأخلاق الجميلة فإنها تزيلها. والحال في ذلك كالحال في الأمور البدنية كالصحة؛ فإنها متى كانت حاصلة فينبغي أن تحفظ، ومتى لم تكن حاصلة فينبغي أن تكسب. والتي بها تكتسب هو الاعتدال في الطعام والتعب

والراحة وسائر الأشياء التي تعرفها صناعة الطب، فإن تلك متى كانت متوسطة اكتسبت الصحة إذا لم يكن الصحة حاصلة وتحفظ الصحة متى حصلت))(١٠٦).

وهكذا يرى ابن سينا أن المتوسط في الأفعال إذا كان قبل حصول الخلق المحمود فإن ذلك يكون سببًا في اكتساب الخلق المحمود. وإذا كان فعله بعد اكتسابه وحصوله فإن ذلك يقويه ويعززه. والأفعال التي ليست على التوسط أي تلك التي تتصف بالإفراط أو بالتفريط فإنه بالميل إلى ما يقابلها أو ضدها يمكن تعديل الخلق حتى يصل إلى حالة الوسط.

والنفوس تشبه الأجساد، والأخلاق تشبه الصحة والمرض، وكما أن للأجساد صحة ومرضًا، كذلك للنفوس صحة ومرض، وصحة النفوس في صدور الأفعال المحمودة عنها، ومرضها في صدور الأفعال المرذولة، وكما يعالج الطبيب الأجسام المريضة بأن يزيل المرض بما هو ضده، فكذلك النفوس إذا وجدناها متجهة نحو الإفراط يجب أن نعدلها بما هو ضده، أي التفريط، وذلك إلى أن نبلغ فيها درجة الوسط. هذا في حالة المرض، أما في حالة الصحة والأعمال الفاضلة فإذا كانت حاصلة يجب المحافظة عليها وتعزيزها وتقويتها.

- **ثالثًا: استعلاء القوة الناطقة وسيطرتها على بقية قوى النفس:**

الخُلق كما يصفه ابن سينا هو ملكة أو هيئة تكسبها النفس الناطقة نتيجة ما يحدث بينها وبين الجسد من فعل وانفعال متبادل، فتصدر الأفعال المحمودة إذا كانت النفس هي المسيطرة على البدن والمستعلية عليه؛ بأن تُسيِّره نحو الأفعال المتوسطة، بينما تصدر الأفعال المذمومة إذا كانت النفس مذعنة للبدن فيما يجذبها من أفعال نحو الأطراف، يقول ابن سينا: ((والخلق هيئة تجذب النفس الناطقة من جهة انقيادها للبدن وغير انقيادها له. فإن العلاقة التي بين النفس والبدن توجب بينهما فعلا وانفعالا. والبدن بالقوى البدنية يقتضي أمورًا متضادة، والنفس بالقوة العقلية تقتضي أمورًا مضادة لكثير منها، فتارة تحمل النفس على البدن فتقهره، وتارة تُسَلِّم للبدن فيمضي في فعله، فإذا تكرَّر تسليمها له حدث من ذلك في النفس هيئة إذعانية للبدن حتى يعسر عليها بعد ذلك ما كان لا يعسر من قبل من ممانعته وكفه عن حركته. وإذا تكرر قمعها له حدث منه في النفس هيئة استعلائية عالية يسهل عليها بذلك من مفارقة البدن فيما يميل ما كان لا يسهل قبل. وإنما تقوم هيئة الإذعان وقوع أفعال من طرف واحد في النقص والإفراط، وتقع هيئة الاستعلاء بأن تجري الأفعال على التوسط. فسعادة النفس في كمالها ذاتها من الجهة التي تخصها هو صيرورتها عالما عقليًّا، وسعادتها من جهة العلاقة التي بينها وبين البدن أن يكون لها الهيئة الاستعلائية))(١٠٧).

فالخُلق كما يصفه ابن سينا في العبارة السابقة هو مَلَكة أو هيئة تحصل للنفس الناطقة من جهة علاقتها بالبدن وبقوى النفس الأخرى، فالبتوسط بين الخلقين الضدين تحصل الفضيلة، وبالموازاة بين متطلبات قوى النفس والجسد تتحقق العدالة، وليس المقصود بالتوسط التوسط في الأفعال بل التوسط على أنه ملكة حاصلة للنفس الناطقة والحيوانية على السواء (في الحيوانية إذعان وفي العاقلة استعلاء وانفعال) لأن الإفراط والتفريط يحصلان كما ذكرنا للنفسين على السواء.

فالإفراط في النفس الناطقة يؤذيها كالتفريط قد يؤدي إلى إماتة الجسد الذي هو آلتها، فتفقد النفس هذه الآلة، والتفريط يؤدي إلى إذعانها وانقيادها للقوى الحيوانية، فتشقى بتعلقها بالجسد، كما أن الإفراط والتفريط للقوة الشهوانية يؤذيانها أيضًا(١٠٨).

ويؤكد ابن سينا على نفس المعنى السابق، فالمرء يصل إلى حال الوسط والفضيلة عندما تحصل للقوى الحيوانية هيئة الإذعان، ((أما القوى الناطقة فبأن تحصل فيها هيئة الاستعلاء والانفعال، وإذا قويت القوة الحيوانية وحصلت لها ملكة استعلائية حدث في النفس الناطقة هيئة وأثر انفعالي، ورسخ في النفس الناطقة. ومن شأنها أن تجعلها قوية العلاقة مع البدن شديدة الانصراف إليه)) (١٠٩).

بهذا الاستعلاء يحصل الخلق المحمود لأنه في سيطرة إحدى القوتين الأخريين الغضبية والشهوية ما يعيق النفس العاقلة عن تحقيق كمالها، فتشقى وتذعن لهما أو لإحداهما. وإذا كان الإفراط والتفريط هما من شيم القوتين الغضبية والشهوية، فكذلك هما أيضًا للقوة العاقلة. لكن إذا كان الاعتدال أو التوسط يحقق الفضيلة في المجال العملي للقوتين الغضبية والشهوية فليس هذا نفسه ما يحقق الفضيلة في القوة العاقلة وفضيلتها قد تكون في الإفراط (النظر والتأمل وتحصيل العلم) الذي يكون به استعلاؤها وتغلبها على القوى الأخرى لتتجاوز الفضائل العملية على ما هو أسمى وأشرف. لأن هذا الإفراط هو الذي يؤدي بالقوة العاقلة إلى استعلائها بحيث تبلغ معه الحكمة النظرية التي تحقق السعادة التي تسعى إليها النفس الإنسانية في الدنيا الآخرة(١١٠).

ومن ثم فإن علاقة النفس بالجسد – كما يرى ابن سينا - ليست علاقة إدراكية فقط، بل علاقة تأثر وتأثير، مما يترتب على هذه العلاقة فعلا وانفعالا، وينتج عن هذا التفاعل المتبادل ثلاث حالات:

- إما استعلاء النفس على البدن وانقياده لها فتسعد.
- وإما استعلاء الجسد على النفس فتنقاد له فتشقى وتذعن

◄◄ وإما موازاة بينهما، وهذه الحالة هي التي تكسب ملكة التوسط(١١١).

وهكذا فإن للنفس تأثير في البدن، ولها فروع أو قوى منبثة في الأعضاء، تنقل إلى تلك الأعضاء أثر النفس فيها، كما أن لتلك الأعضاء أثر في النفس أيضًا، ومن ثم فالتأثير متبادل بين النفس والبدن، يقول ابن سينا: ((فهذا الجوهر فيك واحد، بل هو أنت عند التحقيق، وله فروع وقوى منبثة في أعضائك، وإذا أحسست بشيء من أعضائك شيئًا أو تخيلت أو اشتهيت أو غضبت ألفت العلاقة التي بينه وبين هذه الفروع هيأت فيه حتى تفعل بالتكرار إذعانًا ما، بل عادة وخلقًا يتمكنان من هذا الجوهر المدبر تمكن الملكات، وكما يقع العكس فإنه كثيرًا ما تبتدئ، فتعرض فيه هيأة ما عقلية، فتنقل العلاقة من تلك الهيأة أثرًا إلى الفروع، ثم إلى الأعضاء. انظر: إنك إذا استشعرت جانب الله، وفكرت في جبروته، كيف يقشعر جلدك ويقف شعرك؟ وهذه الانفعالات والملكات قد تكون أقوى، وقد تكون أضعف، ولولا هذه الهيئات لما كانت نفس بعض الناس بحسب العادة أسرع إلى التهتك أو الاستشاطة غضبًا من نفس بعض غيره)) (١١٢).

ولكي تستقل النفس عن البدن وتكتسب هيئة الاستعلاء فعليها الرجوع الدائم إلى ذاتها وكثرة ذكرها لله وذكرها للملائكة الذين هم من معدنها، وهذا يساعدها على النزوع إلى مصدرها حيث كمالها، مما يساعدها على إذعان الجسد لها واستقلالها عنه، وعدم انقيادها له.

- **رابعًا** : **العادة والتكرار**:

الخلق كالصنائع لا بد من وجود الاستعداد الطبيعي مع الممارسة حتى يُكْتَسب وينمو، فالإنسان بتكراره لفعل معين وتعوده إياه يستطيع أن يكتسب المتعلق بذلك الفعل، وكذلك يستطيع بالعادة والتكرار أن ينقل نفسه من خلق إلى آخر، ويضرب ابن سينا مثلا لذلك بحرفة النجارة، فإذا تعلمها المرء ومارسها عن طريق نجار رديء اكتسب رداءته، وإذا تم له ذلك عن طريق صانع حاذق ماهر اكتسب مهارته، وكذلك الخلق، يقول ابن سينا: ((والذي به يحصل الإنسان لنفسه الخلق ويكتسبه متى لم يكن له، أو ينقل نفسه عن خُلق صادف نفسه عليه هو العادة. وأعني بالعادة تكرير فعل الشيء الواحد مرارًا كثيرة زمانًا طويلا في أوقات متقاربة؛ فإن الخلق الجميل إنما يحصل عن العادة، وكذلك الخلق القبيح، فينبغي أن نقول في التي إذا اعتدناها حصل لنا باعتيادها الخلق الجميل هي الأفعال التي تكون من أصحاب الأخلاق الجميلة. وكذلك إذا اعتدنا من أول الأمر أفعال أصحاب الأخلاق القبيحة حصل لنا باعتيادها الخلق القبيح. والحال في ذلك كالحال في الصناعات؛ فإن الحذق بالنجارة مثلا إنما يحصل للإنسان متى اعتاد فعل من هو نجار حاذق، ويحصل له رداءة النجارة متى اعتاد فعل من هو نجار رديء)) (١١٣).

فإذا كان الإنسان مفطوراً على خُلق معين يميل إليه، وتكرر عنه فعل هذا الخلق وأصبح لديه عادة، فإنه بذلك يتمكن في نفسه ويصبح هيئة راسخة فيها، وكما يقول ابن سينا: ((إذا تمكنت بالعادة بتكرير تلك الأفعال هيئة في النفس تصدر عنها تلك الأفعال بأعيانها كانت تلك الهيئة المتمكنة بالعادة يقال لها فضيلة أو رذيلة، وهي التي يحمد عليها أو يذم الإنسان . وأما ذلك الآخر فلا يحمد عليه ولا يذم... ذلك كالحال في الاستعداد للصناعات. وإذا انضافت الهيئة الطبيعية وتمكنت بالعادة كان الإنسان في ذلك الخُلق أتم ما يكون، وتعسر زواله عنه خيراً كان أو شراً . وإذا وجد مَنْ هو بالطبع مُعّد نحو الفضائل كلها، ثم تمكنت فيه بالعادة كان ذلك الإنسان فائقا في الفضيلة؛ يكاد يخرج عن طبقات الفضائل الإنسانية ويسمى إلهيًّا. والذي بالضد هو المُعَدُّ للرذائل كلها المتمكنة فيه بالعادة فهو الشرير على الإطلاق، ويسمى سبعيًّا. والأول يصلح أن يكون مَلَكا، والثاني يخرج عن المدن كلها)) (١١٤).

فالمرء يكتسب الفضيلة أو الرذيلة عن طريق تكرار الفعل حتى يصير خُلقاً لديه، يقول ابن سينا: ((والفضائل والرذائل الخلقية تتمكن بتكرير الأفعال الكائنة عن الخلق، فإن كان خيرات حصلت الفضيلة، وإن كانت شروراً حصلت الرذيلة))(١١٥).

ويستدل ابن سينا على أن الأخلاق إنما تحصل من اعتياد الأفعال التي تصدر عن الأخلاق بما نراه من أصحاب السياسات وأفاضل الملوك، فإنهم إنما يجعلون أهل المدن أخياراً بما يعودونهم من أفعال الخير، وكذلك أصحاب السياسات الرديئة والمتغلبون على المدن يجعلون أهلها أشراراً بما يعودونهم من أفعال الشر(١١٦).

وقد ذهب إلى هذا معظم فلاسفة الأخلاق وعلماء التربية، وهذا الغزالي يقول: ((والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له))(١١٧).

- **المحور الرابع** : **فكر ابن سينا ومعالجة بعض قضايا العصر** :

لعل السؤال الذى يطرح نفسه الآن: كيف يمكن الإفادة من فكر ابن سينا التربوى والأخلاقى فى مواجهة بعض القضايا التربوية المعاصرة ؟

ونستطيع أن نتلمس فى فكر ابن سينا التربوى والخلقى مؤشرات بعينها تفيدنا فى مواجهة بعض القضايا التربويه المعاصرة ومنها ما يلى :

- **سياسة النفس كمدخل لسياسة الأخرين**

أكد ابن سينا على أن سياسة الأخرين تحتاج إلى سياسة النفس أولا .. فمن شاء أن يسوس الأخرين علية أن يسوس نفسه أولا ومن تمكن من سياسة نفسه على أحسن وجه لم يستعص عليه أن يسوس مدينة بأكملها ، بل دولة بأسرها ، وجاء ذلك فى قوله " إن أول ما ينبغى أن يبدأ به الإنسان من أصناف السياسة سياسة نفسه إذ كانت نفسه أقرب الأشياء إليه وأكرمها أولاها بعنايتها ، ولأنه متى أحسن سياسة نفسه لم يعى بما فوقها من سياسة المصر " ، وفى هذا درس بليغ للحاكم إذا أراد أن يقود أمته ويحسن سياسته فعليه أن يسوس نفسه أولا .

- **حاجة المرء إلى صديق مخلص وحاجة الحاكم إلى بطانة صالحة**

يؤكد ابن سينا على ضرورة الحاجة إلى صديق مخلص يعرف الإنسان ويبصره بعيوبه حيث يظهر ذلك بوضوح فى قوله " ولما كانت معرفة الإنسان نفسة غير موثوق بها لما فى طباع الإنسان من غباوة عن مساوئه وكثرة مسامحة نفسة ، ولأن عقله غير سالم عن ممازحة الهوى إياه عند نظره فى أحوال نفسه كان غير مستغن – فى البحث عن أحواله والفحص عن مساوئه ومحاسنه – عن معونة الأخ اللبيب الواد الذى يكون منه بمنزلة المراه فيريه حسن أفعاله حسنا وسيئها سيئا " كما يرى أن أحق الناس بالإستشارة هو الصديق المخلص ، وأحوجهم إليه – أى إلى هذا الصديق المخلص – الرؤساء والملوك والأمراء وهنا إشارة واضحة إلى ضرورة أن يستعين الحاكم أو القائد ببطانة صالحة تعينه على أمره وترشده إلى الخير وتخلص له فى النصيحة وليس بطانة ضالة تضلله وتضله وتزين له أفعاله .

- **فى أدب النصيحة**

يمكن الإفادة من فكر ابن سينا فى ذلك إذ يرشد إلى الرفق فى نصيحة الصديق وتبصيره إلى عيوبه بالحسنى ، كما يرشد من يريد معرفة عيوبه إلى تقبل نصيحة صديقه والإصغاء له والإهتمام بكلامه والتبسم فى وجهه والشكر له على تلك النصائح .

- **مراجعة الإنسان نفسه ومعرفة عيوبه**

يرى ابن سينا أن على المرء أن يعرف عيوب نفسه وذلك من خلال تفحص أخلاق الناس وتفقد شيمهم وخلائقهم ومقارنة أخلاقهم بحالته فيقيس نفسه عليهم ، فما رأه منهم خطأ ونقصان ألزم نفسه بالإبتعاد عنه واجتنابه ، وما رأه عندهم من الفضائل والمناقب الحسنة حاول التحلى به ..

وبعد أن يتعرف المرء على عيوب نفسه ويقارن أخلاقه بأخلاق الأخرين محاولا تدعيم وتقوية ما يظهر منه من مكارم الأخلاق وقمع ما فيه من الرزائل ، يتبع مع نفسه اسلوب الثواب والعقاب ، فإن أتت نفسه بخلق كريم أو فعلت منقبة ومحمدة أثابها على ذلك ، وإن كانت على العكس عاقبها .

إن ابن سينا يرى أن سياسة الرجل لنفسه تقوم على أساس أن يعرف الإنسان مساوئه مستعينا بأخ لبيب ومستهديا بما يراه من أخلاق غيره ، معاقبا نفسه على التقصير مثيبا لها على الحسن والجميل .

ولعل الإنسان العاقل فى زماننا هذا فى حاجة إلى تمثل هذه الأداب وتطبيقها فى مراجعة نفسة وتهذيبها .

- **فى مسألة الصدقات والتسول**

جاء فى فكر ابن سينا ما يمكن أن نعالج به بعض قضايانا المعاصرة المتعلقة بمسألة التصدق والتسول وذلك بضرورة التأكد ممن يستحق الصدقة حيث أكد أنه واجب على الإنسان أن يصرف بعض ما قدر له تحصيله من المال فى الإحسان إلى الفقراء وأهل المعروف والصدقة عليهم ، مع ضرورة أن يكون إخراجها بطيب النفس وحسن النية وإنشراح الصدر ، وقد اشترط شروطا فيمن يصنع المعروف ويخرج الصدقة منها: أن يحرص على غالب صدقته أن تقع فى المحتاجين من الفقراء المتعففين الذين لا يؤبه لهم ، وقد أشار بوضوح إلى اختيار موضع إخراج الصدقة حيث قال " والخامسة إختيار موضعه فإن الصنيعة إذا لم توضع عند من يحسن إحتمالها ويؤدى شكرها وينشر محاسنها ويقابلها بالود والموالاه كانت كالبذر الواقع فى الأرض السبخة التى لا تحفظ الحب ولا تنبت الزرع " .

فها هنا يمكن الاستفادة من ذلك فى البحث والتحرى عمن يستحق الصدقة لأنه قد كثرت فى هذه الآونة اليد التى تمتد للآخرين حتى وكأنها صارت كوظيفة ثابتة (هى التسول) تدر على من يمارسها دخولا مرتفعة ربما تفوق ما قد يتقاضاه كبار الموظفين فى بعض الأحيان ، إذ كثر المتسولون وازدادت أعدادهم وبدا الناس وكأنهم لا يصدقون ادعاءاتهم واحتاروا فى أمرهم : هلى يستحقون أو لا يستحقون ؟ وربما أدى ذلك إلى امتناع كثير من الناس عن مساعدة هؤلاء السائلين لعدم الثقة فيهم مما أدى إلى حرمان الفئة المستحقة مما قد يساعدهم على مواجهة أعباء الحياة .

- **فى شأن تربية الأولاد** :

يمكن الاستفادة من فكر ابن سينا فيما يخص تربية الأولاد فى بعض المواقف فيما يلي :

- **مراعاة ميول المتعلم ومواهبه** :

إضافة إلى الجوانب التربوية الهامة التى نبه ابن سينا على ضرورة مراعاتها فى تأديب النشء وتربية الأولاد فقد أشار إلى جانب هام يتفق مع ما يعرف فى الأدب التربوى المدرسى بما يسمى (الإختيار التعليمى والوظيفى) كوظيفة أساسية من وظائف المدرسة ، إذ يرى أنه إذا فرغ الطفل من تعلم القران وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته ، فوجه لما يتناسب مع ميوله من العلم والعمل ..

وفى هذا تأكيد على مسألة ربما تكون مفتقدة فى تعليمنا وتربيتنا الحالية إلى حد كبير ، وهى ضرورة مراعاة ميول المتعلمين وإرشادهم إلى اختيار ما يناسبهم من مجالات تعليمية ووظيفية .

وبمعنى أخر فإنه على المعلم أن ينظر إلى استعداد الطالب ويتعرف ميوله ومواهبه وقدراته وما يصلح له م نالصناعات والأعمال فيوجهه بحسب ما يوافق ذلك ، وفى هذا إشارة إلى التوجيه المهنى والذى يهدف إلى توجيه المتعلم إلى المهن التى تناسب إمكاناته وقدراته ، وهذا مبدأ تربوى حديث حيث يجب الأخذ بعين الإعتبار ميول الطفل وقابليته نحو الدراسات التى تؤهله لها تلك الميول وذلك لكى يكون مبدعا فى دراسته ومتوفقا فى مهنته المستقبليه .

- **تنوع أساليب تربية الأولاد** :

نستطيع أن نستفيد من فكر ابن سينا مؤكدين على أنه يجب على المربى ألا يقتصر على طريقة واحدة أو أسلوبا واحدا فى التربية بل عليه أن يتبع أساليب وطرق متنوعة طبقا للموقف التربوى الذى يواجهه وطبقا لطبيعة المتعلم وما يتناسب معه وذلك كالثناء والتوبيخ والترغيب والترهيب والثواب والعقاب ، ولا مانع أن يلجأ المربى إلى استعمال اليد (الضرب) فى بعض الأحيان ، وإذا كان العقاب البدنى قد أصبح ممنوعا فى عصرنا الحالى إلا أننا نؤكد على ضرورة أن يكون هذا العقاب ضمن أساليب التربية إذا لزم الأمر ، فلعل الإخفاق الذى تشهده التربية فى أيامنا هذه - مما لا يخفى على عاقل – مرجعه إلى عوامل كثيرة منها منع استخدام العقاب البدنى كوسيلة من الوسائل الزاجرة لتقويم ما اعوج من سلوك التلاميذ ومعالجة إهمالهم وتقصيرهم . وفى هذه المسألة يشير ابن سينا إلى نقطة هامة عند استخدام الضرب وهى أن يكون أول الضرب قليلا موجعا " فإن الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبى بما بعدها واشتد منها خوفه ، وإذا كانت الأولى خفيفة مؤلمة حسن ظنه بالباقى فلم يحفل به " .

وهكذا يعتبر ابن سينا مبدأ العقاب ضرورة تربوية يلجأ إليها فى بعض الحالات الملحة والعقوبة عنده إرشاد وتوجيه للسلوك ، ونحن فى جاجة ماسه إلى إعادة النظر فى تطبيق مثل هذا الاسلوب التربوى الهام مع غيره من الأساليب الاخرى .

- **التعلم الجماعى وقرناء الخير** :

نستطيع كذلك أن نستفيد من فكر ابن سينا التربوى وذلك فى اثر الرفقة الصالحة فى عملية التعلم لأن الطفل كثيرا ما يتعلم من أقرانه ممن هم حسن أدابهم مرضية عاداتهم .. وهكذا التأكيد على الدور البارز لأقران التعلم ممن هم أخلاقهم حسنه مما يفيد فى المراجعة وغيرها من العوامل المحفزة على التعلم ، ذلك أن الطفل يحاكى غيره من الصبيان فى أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم .

- **ابن سينا وحسن اختيار المعلم** :

ولعل ابن سينا كان صائبا فى تأكيده على حسن اختيار المعلم لما لذلك من اثر فى تربية الأجيال ، وضرورة توفر شروط ومواصفات لمن يكون أهلا لتعليم الصبيان وذلك بأن يكون مؤدبا وعاقلا ذا دين وبصيرا برياضة الصبيان وإضافة إلى ذلك فإنه ينصح بأن يكون دارسا لعلم نفس النمو ومرحلة الطفولة والمراهقة وأساليب ومناهج التدريس ، وهذا مما تنادى به التربية الحديثة .

- **خلاصة واستنتاجات**

في ختام حديثنا عن فلسفة ابن سينا في التربية والأخلاق نوجز أهم النتائج المتعلقة بهذا البحث فيما يلي:

- (١) كان لابن سينا اهتمام ملحوظ بالنفس البشرية رغبة في الوصول بها إلى كمالها المنشود؛ فكتب في ذلك الكثير من الرسائل، كما تناولها في ثنايا العديد من كتبه، وكان يرى أن الطريق إلى تهذيب النفس يكمن في المعرفة؛ معرفة المرء لنفسه ومعرفته للآخرين، وعلى هذا الأساس يبني منهجه في تربية النفس وسياستها. وخلاصة رأيه في ذلك أن سياسة الرجل لنفسه تقوم على مبدأ أن يعرف الإنسان مساوئه، مستعينًا بأخ لبيب، ومستهديًا بما يراه من أخلاق غيره، معاقبًا نفسه على التقصير، مثيبًا لها على الحسَن والجميل.
- (٢) اهتم ابن سينا بتربية الطفل والعناية به صحيًّا ونفسيًّا، وكان أحد أولئك الذين أفاضوا في الحديث عن العناية بالطفل في مراحل نموه المختلفة، وأسهم من خلال كتابه السياسة في وضع قواعد منهجية لتربية الأولاد، وله آراء فلسفية وتربوية مهمة في تأديب النشء وتربية الأولاد.
- (٣) بالإضافة إلى كتاب السياسة كتب ابن سينا رسائل في الحكمة العملية والسياسة المنزلية، منها: كتاب العهد، وكتاب البر والإثم، ورسالة في علم الأخلاق، بالإضافة إلى كثير من الشذرات في كتبه الأخرى التي تركها، والتي يتضح منها الفكر الأخلاقي والتربوي عنده.
- (٤) دعا ابن سينا إلى مراعاة أخلاق الطفل وإبعاده عن المؤثرات الضارة على سلوكه وأخلاقه، وكان يرى أن الإنسان يكتسب الخير أو الشر من البيئة التى حوله، ولذا أوضح أن عملية اكتساب الخلق تبدأ من السنوات الأولى في حياة الطفل
- (٥) اعتبر ابن سينا مبدأ الثواب والعقاب ضرورة تربوية يُلجأ إليها في بعض الحالات الملحة، والعقوبة عنده إرشاد وتوجيه للسلوك وحرص على تعديله برفق، وليس الدافع من ورائه الانتقام والكراهية، بل حسن التربية والإخلاص في العمل. ومن ثم يرى أنه يجب استعمال الرفق واللطف مع الصبي إذا أخطأ أول مرة، مع مراعاة نفسية الطفل ومعاملته المعاملة التي تليق به، واختيار العقوبة التي تتناسب معه؛ كالتأنيب والتوبيخ أو الضرب أحيانًا؛ لأن الغرض من العقوبة الإصلاح فلا بد من استعمال الحكمة فيها.
- (٦) أشار ابن سينا إلى الدور البارز لأقران التعلم، وضرورة اتصافهم بحسن الأدب، وضرورة حضورهم مع المتعلم في زمن التعلم؛ وذلك لما لهم من دور وأثر في عملية التعلم؛ إذ كثيرًا ما يتعلم الطفل من أقرانه؛ مما يفيد في المراجعة

والمعارضة والمباراة بينهم، وغير ذلك من عوامل التعلم التحفيزية. وفي ذلك أيضًا إشارة إلى أثر البيئة الطيبة وأثر التقليد في تربية الطفل، إذ إن نزعة التقليد لديه نزعة فطرية؛ فيحاكي غيره من الصبيان في أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم.

- (٧) وضع ابن سينا شروطًا ومواصفات لمن يكون أهلا لتعليم الصبيان، ومن ثم نصح باختيار مُعلم مؤدب عاقل ذي دين، بصير برياضة الصبيان وتهيب الأخلاق. وقد وجَّه الأنظار إلى الصفات السلوكية والخلقية التي يجب على المعلم أن يتمتع بها؛ إذ أنه يجب أن يكون قدوة حسنة لمن يعلمهم. وآراء ابن سينا تقترب من الآراء التربوية الحديثة في المربي والمعلم الذي يجب أن يكون دارسًا لعلم نفس النمو وسن الطفولة والمراهقة
- (٨) انتبه ابن سينا إلى كل شرائط التعليم والتعلم سواء تعلق الأمر بالمعلم أو المتعلم أو المادة، وحث على وجوب مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، ومراعاة الميول والمواهب الخاصة بالمتعلم، وتوجيهه نحو التخصص الذي يرغب فيه حتى يكون مبدعًا في دراسته ومتوفقا في مهنته المستقبلية، وحض على التعلم الجماعي، ورأى أنه ينبغي مراعاة طبيعة المتعلم والعمل الذي أقدم عليه، وأن نتدرَّج معه في التعليم.
- (٩) أقر ابن سينا بأن الأخلاق في الإنسان مكتسبة، وأن الإنسان لديه القابلية والقدرة على فعل الخير والشر، ويمكنه أن ينتقل من هذا إلى ذاك.
- (١٠) اهتم ابن سينا بمعرفة الفضائل وكيفية اقتنائها، ومعرفة الرذائل وكيفية توقيها، وأوضح أن طريق الكمال المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة يكمن في تحصيل الإنسان ما يلزم لقوتيه النظرية والعملية من العلوم والفضائل.
- (١١) تتلخص رؤية ابن سينا ومنهجه في اكتساب الأخلاق وتحصيلها في أربعة أمور، هي: الاكتساب، والتوسط، واستعلاء القوة الناطقة وسيطرتها على بقية قوى النفس، والعادة والتكرار.
- (١٢) السياسة الأخلاقية عند ابن سينا ترتبط بسعي الإنسان للوصول إلى الكمال في اكتساب العلم والفضيلة، وله منهج وطرق وأساليب في اكتساب الفضائل والأخلاق الحميدة، وللتخلص من الرذائل والأخلاق الذميمة، وكانت له في ذلك إشارات كثيرة في كتبه، كما خصص لذلك كتابين صغيرين أو رسالتين هما كتاب البر والإثم ورسالة في علم الأخلاق، وفيهما يعرض لمعاني كثير من الفضائل الخلقية.
- (١٣) استمد ابن سينا منهجه التربوي والأخلاقي من الدين الإسلامي، ومن واقع عصره ومجتمعه، والتربية عنده لا تقتصر على مرحلة واحدة، بل تشمل تربية الطفل منذ لحظة ولادته حتى زواجه وانخراطه في الحياة الاجتماعية، كما إنها لم تركز على جانب واحد من شخصيته، بل تهتم بكل جوانب الشخصية الإنسانية الفردية، والمجتمعية، والأخلاقية، والدينية، والمهنية، وتسعى إلى تحقيق تكاملها العقلي والجسدي والانفعالي.

- **هوامش البحث ومراجعه**

- (١) عبد الرحمن النقيب : فلسفة التربية عند ابن سينا ، المكتبة العربية للدراسات العربية (٥) إشراف: سعيد إسماعيل على ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص: ٩.
- (٢) حسن إبراهيم عبدالعال : الأصول النفسية للتربية عند الإمام أبى فرج بن الجوزى (٥١٠هـ -٥٩٧هـ) ، مجلة البحوث التربوية والنفسية ، كلية التربية ، جامعة المنوفية ، العدد الثانى ، السنة الثامنة ، يوليو ١٩٩٢م ، ص:٢٢٣.
- (٣) المرجع السابق ص ص: ٢٢٨، ٢٢٩.
- (٤) من هؤلاء فى مجال بحثنا الحالى :
  - عبدالرحمن النقيب : فلسفة التربية عند ابن سينا .
  - عبدالأمير شمس الدين : الفكر التربوى عند ابن سينا ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ،١٩٨٨م.
  - محمود عبداللطيف : الفكر التربوى عند ابن سينا ، سلسلة التراث العربى الإسلامى فى مجال الفكر التربوى (٣) ، مديرية إحياء ونشر التراث العربى ، وزارة الثقافة ، دمشق ،٢٠٠٩م .
- (٥) عبدالرحمن النقيب : فلسفة التربية عند ابن سينا ، مرجع سابق ، من المقدمة لسعيد إسماعيل على، ص : ٢، ٣.
- (٦) المرجع السابق ، ص : ٣.
- (٧) يقال كان الطب معدوما فأوجده أبقراط ، وكان ميتا فأحياه جالليوس ، وكان متفرقا فجمعه الرازى ، وكان ناقصا فأكماه ابن سينا . انظر : خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م ، ج٢ ،ص٢٤١.
- (٨) أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف أبو العباس بن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى صفات الأطباء ، تحقيق : نذار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د ت ، ص : ٤٣٨.
- (٩) محمود عبد اللطيف : الفكر التربوى عند ابن سينا ، مرجع سابق ص: ٦١.
- (١٠) المرجع السابق ، ص: ٦٧.
- (١١) حسن إبراهيم عبد العال : الأصول النفسية للتربية عند الإمام أبى فرج بن الجوزى ، مرجع سابق ، ص ص: ٢٣١ ، ٢٣٢.
- (١٢) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، جـ ١٢، ص: ٢٤٩..
- (١٣) انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٩٤، جـ٢ ، ص: ١٦١.
- (١٤) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق ، ص: ٤٤٥.
- (١٥) انظر: عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق - بيروت، ١٩٨٨م، ص: ٣٣.
- (١٦) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص:٤٣٧.

- (١٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ٢، ص: ١٥٧.
- (١٨) ابن سينا: رسالة للشيخ الرئيس قدس سره في أحواله، ص: ٢٧، ٢٨ ، طبع ضمن كتاب حسن عاصي: ابن سينا الرجل والأثر، دار الفكر العربي – بيروت، ١٩٩٠م، ص: ٢٥ – ٦٦. وانظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص: ٤٣٧. ولعل اتباع ابن سينا لفكر إخوان الصفا، وتعمقه في فلسفة اليونان قد أدى به إلى التطرف والبعد عن عقيدة الإسلام الصحيحة مما جعل الغزالي وغيره يكفرونه في بعض آرائه، يقول الذهبي: ((هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة. وله كتاب الشفاء، وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال، وكفر الفارابي)) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، جـ١٧، ص: ٥٣٥.
- (١٩) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص: ٤٣٧.
- (٢٠) المرجع السابق، ص: ٤٣٨.
- (٢١) المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة ، ص: ٤٣٨.
- (٢٢) المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة ، ص: ٤٣٨.
- (٢٣) المرجع السابق، ص: ٤٣٩.
- (٢٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ٢، ص: ١٥٨.
- (٢٥) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ص: ٤٣٩، ٤٤٠.
- (٢٦) انظر: المرجع السابق، ص ص: ٤٤١، ٤٤٢.
- (٢٧) انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ٢، ص: ١٦٠.
- (٢٨) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص: ٤٤٥.
- (٢٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ٢ ، ص: ١٦٢.
- (٣٠) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص: ٣١٢.
- (٣١) انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص: ٤٤٦.
- (٣٢) انظر: المرجع السابق، ص ص: ٤٥٧، ٤٥٨.
- (٣٣) انظر: الزركلي: الأعلام، مرجع سابق، جـ٢، ص: ٢٤٢.
- (٣٤) عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: ١٢ وانظر: جورج شحاتة قنواتي: مؤلفات ابن سينا، دار المعارف، ١٩٥٠م.
- (٣٥) انظر: مصطفى غالب: ابن سينا، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٩٩٥م، ص: ٢٨.
- (٣٦) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص: ٤٤١.

- (٣٧) ابن سينا: رسالة في العهد، تحقيق: عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: ٤١٩.
- (٣٨) انظر: المرجع السابق، ص ص: ٤١٩، ٤٢٠.
- (٣٩) ابن سينا: مبحث عن القوى النفسانية، طبع مع كتابه: أحوال النفس رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تحقيقق : أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون - باريس، ٢٠٠٧، ص ٥٦.
- (٤٠) ابن سينا: أحوال النفس رسالة في النفس وبقائها ومعادها، المرجع السابق، ص ٥٦.
- (٤١) محمود قاسم : فى النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط٤، ١٩٦٩م، ص: ٩٥. وانظر ما قبلها. وانظر: عاطف العراقي: مذاهب فلاسفة المشرق، دار المعارف - القاهرة، ط١١، ١٩٩٩م، ص: ١٧١.
- (٤٢) ابن سينا: رسالة في الكلام على النفس الناطقة، تحقيق : عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: ٤٢٦.
- (٤٣) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف - القاهرة، ١٩٦٨م، جـ٢، ص ص: ٣٤٣ - ٣٤٥.
- (٤٤) ابن سينا: رسالة في الموت، تحقيق : عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: ٣٧٩.
- (٤٥) المرجع السابق، ص ص: ٣٧٩، ٣٨٠.
- (٤٦) عاطف العراقي: مذاهب فلاسفة المشرق، مرجع سابق، ص: ١٧٣.
- (٤٧) انظر: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤هـ ، جـ٢، ص: ٢٢٢.
- (٤٨) ابن سينا: كتاب السياسة، تحقيق: علي محمد إسير، بدايات للطباعة والنشر - سوريا، ٢٠٠٧م، ص ص: ٥٢، ٥٣.
- (٤٩) انظر: ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٦٤.
- (٥٠) المرجع السابق، ص: ٦٥.
- (٥١) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص ص: ٦٥، ٦٦.
- (٥٢) ابن سينا: رسالة في العقول، تحقيق : عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: ٤١٦.
- (٥٣) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٦٦.
- (٥٤) انظر: المرجع السابق، ص ص: ٦٦، ٦٧.
- (٥٥) المرجع السابق، ص ص: ٧٠، ٧١.
- (٥٦) المرجع السابق نفسه ، ص: ٧١.
- (٥٧) الأرمد من الثياب: الأغبر والوسخ. انظر: المعجم الوسيط، دار الدعوة - القاهرة، جـ١ ص: ٣٧٢.
- (٥٨) مسكويه: تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص ص: ١٩٧، ١٩٨.

- (٥٩) انظر: ابن الجوزي: الطب الروحانى، تحقيق: محمد السعيد بن بسيونى زغلول، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ص: ٥٣، ٥٤. وقارن: عبد العزيز سيد هاشم: الآراء الأخلاقية عند ابن الجوزي، رسالة ماجستير - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، ١٩٩٧م، ص ص: ٢٣٧، ٢٣٨.
- (٦٠) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص ص: ٧١، ٧٢.
- (٦١) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، مرجع سابق، جـ٣، ص ص: ٢٢٦، ٢٢٧.
- (٦٢) الأخلاط الأربعة علم يعرف به أحوال الأبدان صحة ومرضًا، وكان التشخيص والعلاج في الطب القديم مبنيًا على الأخلاط الأربعة، وهي نظرية لتفسير وظائف الأعضاء وأمراضها، قال بها أبقراط وجالينوس، وكان لها مكانتها في الطب القديم حتى القرن الماضي. وخلاصتها أن الكون كله مُكوَّن من أربعة عناصر، هي: التراب، والماء، والهواء، والنار. ولكل منها صفة خاصة بها. والجسم كذلك مُكوَّن من أربعة أخلاط، هي: البلغم، والمرة الصفراء، والمرة السوداء، والدم. ويقابل الأخلاط الأربعة الأمزجة الأربعة أيضًا، وهي: الحرارة، والرطوبة، والبرودة، واليبوسة. وتقوم تلك النظرية على أن صحة البدن والسلوك السوى يقوم على التوازن بين تلك العناصر الأربعة عند الشخص السليم، أما المرض فيظهر عندما يغلب أحد هذه الأخلاط على الآخر. وظلت هذه النظرية سائدة في تفسير الطب والأمراض والسلوك البشري حتى القرن التاسع عشر.
- (٦٣) ابن سينا: رسالة في الكلام على النفس الناطقة، تحقيق : عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص: ٤٢٧.
- (٦٤) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، جـ٣ ص: ٦٠
- (٦٥) يقال: (طَعَام مريء): هنيء حميد المغبة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {فكلوه هَنِيئًا مريئا} وكلأ مريء غير وخيم. انظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، جـ٢ ص: ٨٦٠.
- (٦٦) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٧٤.
- (٦٧) المرجع السابق، ص: ٧٥.
- (٦٨) ربا الشيء: نما وزاد. انظر: المعجم الوسيط، مرجع سابق، جـ١ ص: ٣٢٦.
- (٦٩) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص ص: ٧٥، ٧٦.
- (٧٠) انظر: المرجع السابق، ص: ٧٩.
- (٧١) المرجع السابق، ص ص: ٧٩، ٨٠
- (٧٢) انظر: المرجع السابق، ص ص: ٨٠، ٨١.
- (٧٣) انظر : إمام عبد الفتاح : أفلاطون والمرأة، حوليات كلية الآداب - مجلس النشر العلمى - الكويت الحولية الثانية عشرة، الرسالة الخامسة والسبعون ١٤١٢/ ١٤١٣هـ ١٩٩١/ ١٩٩٢م، ص : ١١١ .
- (٧٤) انظر: عبد الرحمن النقيب: فلسفة التربية عند ابن سينا،مرجع سابق، ص ــ ص: ١٠٥ – ١٠٨.
- (٧٥) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٨٣.
- (٧٦) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ٣ ص: ٧٢.

- (٧٧) انظر: المرجع السابق، ص: ١٦٤.
- (٧٨) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٨٣.
- (٧٩)أ بو علي الحسين بن عبد الله بن سينا: القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، جـ١ ص: ٢٢٠.
- (٨٠) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص ص: ٨٣، ٨٤.
- (٨١) انظر: محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الكتاب الحديث - الكويت، د. ت، ص. ص: ٢١٥ - ٢١٧.
- (٨٢) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٨٤.
- (٨٣)ا لمرجع السابق، ص ص: ٨٥، ٨٦
- (٨٤) محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق، ص: ٢١٣، وانظر: ما قبلها.
- (٨٥) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص: ٨٤.
- (٨٦) محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق، ص: ٢٠٨.
- (٨٧) ابن سينا: كتاب السياسة، مرجع سابق، ص ص: ٨٦، ٨٧.
- (٨٨) المرجع السابق، ص: ٨٧.
- (٨٩) انظر: السابق نفسه ، ص: ٨٨.
- (٩٠) السابق نفسه ، ص: ٩٠.
- (٩١) السابق نفسه ، ص: ٩٢.
- (٩٢) السابق نفسه ، ص: ٩٣.
- (٩٣) ابن سينا: في علم الأخلاق، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، تحقيق: حسن عاصي، ١٩٨٦م، ١٤٠٦هـ، ص: ١١٥.
- (٩٤) انظر: ابن سينا: رسالة البر والإثم، تحقيق عبد الأمير شمس الدين، نشرت مع كتابه: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ١٩٨٨م، ص: ٣٦٠.
- (٩٥) ابن سينا: رسالة البر والإثم، مرجع سابق، ص: ٣٦١.
- (٩٦) ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص: ١٢٠.
- (٩٧) ابن سينا: رسالة البر والإثم، مرجع سابق، ص: ٣٦٢.
- (٩٨) انظر: أرثور سعدييف: ابن سينا، ترجمة: توفيق سلوم، دار الفارابي - بيروت، ١٩٨٧م، ص: ٢٧٧.
- (٩٩) ابن سينا: رسالة البر والإثم، مرجع سابق، ص: ٣٦٣.
- (١٠٠) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ ٣ ص: ٥٨.
- (١٠١) ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص ص: ١١٨، ١١٩.
- (١٠٢) ابن سينا: رسالة البر والإثم، مرجع سابق، ص: ٣٦٣.

- (١٠٣) المرجع السابق، ص: ٣٦٣.
- (١٠٤) ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص: ١٢١.
- (١٠٥) المرجع السابق، ص ص: ١٢١، ١٢٢.
- (١٠٦) ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص ص: ١٢٠، ١٢١.
- (١٠٧) المرجع السابق، ص: ١٢٢، وقارن :الشهرستاني: الملل والنحل، مرجع سابق، جـ٢، ص: ١٧٢.
- (١٠٨) انظر: عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص:٢٠٨.
- (١٠٩) ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص: ١٢٣.
- (١١٠) انظر: عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص:٢١٣، وانظر: ابن سينا: الشفاء قسم الإلهيات، ص: ٤٥٥.
- (١١١) انظر: عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص ص: ٢٠٧، ٢٠٨.
- (١١٢) ابن سينا : الإشارات والتنبيهات، مرجع سابق، جـ٢، ص ـ ص: ٣٢٨ -٣٣٢.
- (١١٣) ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص: ١٢٠.
- (١١٤) ابن سينا: رسالة البر والإثم، مرجع سابق، ص ص: ٣٦١، ٣٦٢.
- (١١٥) المرجع السابق، ص: ٣٦١.
- (١١٦) انظر: ابن سينا: في علم الأخلاق، مرجع سابق، ص ص: ١٢٠، ١٢١.
- (١١٧) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ٣ ، ص: ٧٢.

****